فلسفة الإنسان والحضارة عند إدجار موران

إعـــــــــداد

د. محمد محمود عبد الحميد داود
مدرس الفلسفة الحديثة والمعاصرة
كلية التربية جامعة دمنهور

\

مجلة الدراسات التربوية والانسانية. كلية التربية. جامعة دمنهور.
المجلد الخامس عشر – العدد الأول – يناير - لسنة 2023

فلسفة الإنسان والحضارة عند إدجار موران

د. محمد محمود عبد الحميد داود

الملخص :

لاشك أن العلاقة بين الإنسان والحضارة علاقة وثيقة ، فالإنسان هو المسئول الوحيد عن التقدم العلمي والتقني والتكنولوجي والمعارف والعلوم والثقافات وتطور المجتمعات وتذليل العقبات وإعمار الأرض ، وكذلك هو الذي صنع الأسلحة الفتاكة والمدمرة التي تهدد الكون بالفناء ، والإنسان إشكالية فلسفية كانت ولاتزال تشغل اهتمام الفلاسفة في مختلف العصور والأزمنة ، وعلي الرغم من أن الإنسان هو الذي ابتكر وسائل التقدم العلمي والتكنولوجي للتحرر من سيطرة الطبيعة ومعوقاتها ، ورغم كل ما حققه من انجازات حضارية ، إلا أنه فقد الثقة في قدراته ومعقولية وجوده وأصيب بالنزعة التشاؤمية نتيجة التنبؤ بمستقبل يهدد الحضارة الإنسانية بالزوال.

الكلمات المفتاحية

الإنسان – السياسة الحضارية – الأزمة – العزلة – الحداثة – العنف

Abstract

There is no doubt that the relationship between man and civilization is a close one. Man is the only one responsible for scientific, technical and technological progress, knowledge, sciences and cultures, the development of societies, overcoming obstacles and reconstructing the earth. He is also the one who created deadly and destructive weapons that threaten the universe with annihilation. Man is a philosophical problem that has been and still occupies the attention of philosophers in various fields. Ages and times, and despite the fact that man was the one who invented the means of scientific and technological progress to liberate himself from the control of nature and its obstacles, and despite all the civilizational achievements he achieved, he lost confidence in his abilities and the reasonableness of his existence and became afflicted with a pessimistic tendency as a result of predicting a future that threatens human civilization with extinction.

key words

.Man – civilizational politics – crisis – isolation – modernity – violence

المقدمة :

إذا كان العصر الحديث بعلومه المختلفة والمتنوعة ذات التقنية قد حررت الإنسان من الخرافات والتبعية فإن التكنولوجيا في عصرنا المعاصر ومع تزايد الاكتشافات وبزوغ الثورة العلمية وتطبيقاتها المعاصرة تحمل الكثير من السلبيات والمخاطر والتحديات ، بل والتهديدات التي تنزر بأزمة ضخمة قد تؤدي إلي كارثة ، والملجأ الوحيد هو أخلاقيات العلم والآلة.

لا يمكن فهم الحضارة – نشوئها وتطورها وتقدمها التاريخي– فهماً صحيحاً بصورة منعزلة عن تاريخ التطور الإنساني بوصفه القوة المنتجة للمجتمع ، وعالم الحضارة هو عالم الإنسان الذي خلقه وطوره بعقله الحر المسؤول ، فهو مشيد الحضارات ومبدع الثقافات ، لديه القدرة علي إحداث تحولات وتغييرات في العالم ، إلا أن النظام الاجتماعي للرأسمالية يهدف إلي اخضاع وعي إرادة الإنسان المعاصر لتشويه جوهره الإنساني الحر المستقل ، وقد انحصرت إنجازات الحضارة في النظام الرأسمالي في تأكيدها سيطرة الطبقة الحاكمة علي مقدرات المجتمع ، وتحويل الحضارة إلي أداة لسلطتها وأهدافها .

والعلاقة بين الإنسان والطبيعة علاقة ديناميكية جدلية ، فقد استطاع الإنسان أن يضاعف روابطه مع الطبيعة من خلال الصراع الجاد الذي انتهي لصالح الإنسان بفضل انتصاراته واختراعاته والتأكيد علي حريته ومسؤوليته ، فالتقدم العلمي والتكنولوجي والتقني المتوحش يهدد الحضارة بالانهيار ونهاية التاريخ ووقوع كارثة عالمية لا يمكن التنبؤ بعواقبها.

وتتمثل مهمة الحضارة في فهم الانسان للاخلاق فهماً عميقاً ، وتنسيق معتقداته الاخلاقية وتطوير المواهب الطبيعية تطويراً اخلاقيا ، وتتقدم الحضارة وتزدهر اذا استطاعت ان تجعل من الانسان كائناً كاملاً من النواحي الفيزيائية والعقلية والاخلاقية .

وقد كانت الثورة الفرنسية التي تحمل شعار (الحرية ، المساواة ، والإخاء) بمثابة انتصاراً للبرجوازية المسيرة للرأسمالية في مختلف أنحاء أوروبا ، حيث القضاء علي الإقطاع ، وتأسس الحريات المدنية والمساعدة علي تحقيق الرفاهية والسعادة ، إلا أن التطور في الرأسمالية أدى إلي إغتراب الإنسان والعزلة والقلق واليأس وانطواء الأفراد علي أنفسهم وتفتت المجتمع ، ويتضمن تاريخ البشرية استكشافات جديدة وتقدم علمي وتقني أتاح للعقل البشري خلق امكانيات

جديدة في مجالات متعددة مثل المعرفة والحياة ، كما تشهد مسيرة العقل البشري صراعات طاحنة ومعارك قاسية في كافة المجالات التي تنذر بنهاية مأساوية .

وترجع أهمية الدراسة إلي تناول موضوع في غاية الأهمية لارتباطه الواقع الذي نعيشه لدي فيلسوف موسوعي وموضوعي حيادياً ، حيث تناول الإنسان من كافة جوانبه وعلاقته بالحضارة ومدي تأثيره في مسيرة الحضارة من خلال التقدم العلمي والتكنولوجي والتقني التي حولت الإنسان لمجرد ألة خالية من الجانب الروحي والأخلاقي ، وقد استطاع الإنسان أن يطور العلوم والصناعة والأسلحة النووية للهيمنة والسيطرة علي المنطقة والإستيلاء علي ثروات شعوب العالم ، الأمر الذي أدي إلي الكثير من الحروب والصراعات وتهدد بالدمار الشامل .

بينما تتضمن اشكالية البحث في الإجابة علي التساؤلات :

مفهوم الإنسان وخصائصه وعلاقته بالحضارة ؟

كيف تأثرت الحضارة الغربية بالتقدم العلمي والتكنولوجي والنظام الرأسمالي ؟

ماهي مظاهر انهيار الحضارة الغربية لدي " موران "؟

ما هي علاقة السياسة بالحضارة عند "موران"؟

وقد استخدم الباحث في دراسته المنهج التحليلي النقدي المقارن .

وتتضمن خطة البحث ثلاثة مباحث :الأول مفهوم الإنسان وماهيته ، والمبحث الثاني : مفهوم الحضارة ومقوماتها ، والمبحث الثالث : أزمة الحضارة الغربية والخاتمة وأهم النتائج .

المبحث الأول : مفهوم الإنسان وماهيته عند إدجار موران (۞)

(۞) " إدجار موران " فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي معاصر ، من أسرة يهودية يونانية أسمه " إدجار ناحوم موران Edger Nihom Morin ولد بباريسفي 8 يوليو 1921م ، درس التاريخ وعلم الاجتماع والاقتصاد والفلسفة ، اكتشف عالم السياسة من خلال مناشير الأقليات اليسارية ، ثم انتمي إلي الحزب الشيوعي الفرنسي كغيره من الفلاسفة الفرنسين علي غرار روجيه جارودي (1912 -2012) ولوي ألتوسير (1918 – 1990) ثم حركة المقاومة ضد النازية . يعرّف نفسه بأنه بنائي بنائية (علم نفس) ويقول: «من يفكر أحمق.». ل المنطق، الوعي والمعرفة، علم الاحياء والفنون لاسيما السينما. من أهم مؤلفاته «الأحمق الغبي هو من لا يفكر» وهو مؤلَّف موسوعي من 100جزء، «السينما أو الرجل الخيالي»وكذلك من أهم مؤلفاته «وحدة الإنسان» و «الإنسان والموت» ، إلى أين يسير العالم ، هل نسير إلى الهاوية.

https://ar.wikipedia.org/wiki/إدجار موران

الإنسان مشكلة ؛ لأنه الموجود الذي لا وصف له سوى أنه لا يوصف ! إنه الموجود الذي يفلت من كل تحديد ويخرج علي كل قاعدة ، ويند عن كل تعريف ، لا يكاد ينتهي حتي يبدأ من جديد ، ولا يمس شيئاً دون أن يغيره ويحوله ، هو ذلك الكائن المتناقض الذي حار في وصفه الفلاسفة فقالوا في تعريفه أنه حيوان ناطق ، أو حيوان صانع أو حيوان مدني أو حيوان متدين ، أو حيوان ميتافيزيقي ، أو حيوان مريض أو حيوان ضاحك...إلخ ، وقالوا عنه أنه ذئب لأخيه الإنسان ، أو أنه حيوان مفترس. وصفه سارتر بأنه الموجود الذي يشعر بأنه قد وجد جزافاً ، فهو يدرك ذاته بوصفه عبثاً لا طائل تحته ، ويعرف دائما أنه زائد عن الحاجة ، بينما ذهب رجال الدين وآباء الكنيسة أمثال بسكال وبوسويه وماسيون وغيرهم بأنه مخلوق وضيع لا يملك أية طهارة ولا يتمتع بأية فضيلة ، ولا تنطوي نفسه علي أية براءة ، مخلوق ساقط بهيمي تعميه شهوته الدنيئة ، ولولا خوفه من نار جهنم واحترامه لسلطة المجتمع لأقدم علي ارتكاب أدني الموبقات ولما تورع عن اتيان أحط الجرائم ، بينما يصفه الأخلاقيين الفرنسيين أمثال لافونتين وسان سيمون وشامفور وموباسان وغيرهم بأن سلوكه تتسم بالتفاهة والدناءة والرياء فيشبهون قلبه بجهاز آلي مبتذل يحركه ترس واحد، ألا وهو المنفعة.([1])

اختلفت الفلسفات في تناول حقيقة الانسان وطبيعته ، فتعددت وجهات النظر وتنوعت وفقا لتطور اساليب الحياة وتنوعها وتغيرها ، حيث ان الفلسفة ليست مجرد انعكاس سلبي للحضارة ، وانما هي جزء من الحضارة تتغير وفقا لتغيرها ، وهي في تغيرها وتطورها تقدم ارهاصات لمستقبل أفضل.([2])

وقد انشغلت الفلسفة بحقيقة الإنسان باعتباره موضوعاً للمعرفة بشكل عام ، فأن يعرف الإنسان نفسه أو تعرف البشرية ذاتها فهذا مطلب ثقافي قديم حديث ، مطلب سرمدي ، انجب عبر التاريخ معرفة الأسطورة ومعرفة الدين ومعرفة الآداب أو الإنسانيات.([3])

([1]) د.زكريا ابراهيم : مشكلة الإنسان ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ب.ت ، صـ 7.

([2])John Dewey ; Philosophy and Civilization , Capricorn Books , New York , 1963, pp .3-4 .

([3]) د. عادل العوا : الإنسان ذلك المعلوم ، منشورات عويدات ، بيروت – باريس ، 1977 ، صـ 5.

1.ماهية الإنسان The essence of man

وإذا بحثنا عن ماهية الإنسان ، فنجد أن سائر الكائنات من ملائكة وشياطين وحيوانات حتي الجماد قد تحددت لهم ماهية لا يمكن أن يحيدوا عنها ، إلا أن الإنسان وحده هو الذي تُرك دون ماهية ؛ لكي يحمل أعباء التكليف والإختيار ، أي مسئوليته عما يفعل في الدنيا ليحاسب عنها في الآخرة ، لذلك فهو سيد المخلوقات الذي أُمرت الملائكة بالسجود له.([4]) يقول الله تعالي : {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} .([5])

ويمثل الإنسان إشكالية خطيرة فهو يجمع بين الشتيتين ويؤلف بين الضدين ، ويحمل بين جنباته النار والجنة ، إنه الحيوان الوحيد الذي يتمتع بالعقل ، ولكنه أيضاً الحيوان الوحيد الذي لا يفتأ يطلب المحال وينشد اللامعقول ! أنه المخلوق الهجين الذي يمتزج فيه النور والدم ، الشعاع والطين ، الطهارة والرجس ، الأمل واليأس ! إنه الموجود الذي يعيش في الزمان ولا يفتأ يحن إلي الأبدية ، الموجود الذي لا يكف عن التحسر علي الماضي ، والتطاع نحو المستقبل دون أن يكون في وسعه يوماً أن يقنع بالحاضر ، أنه المخلوق المختلط الملتبس الذي لا سبيل إلي تحديد مكانه أو وصف مكانته أو تعريف طبيعته ، ولعل هذا هو ما عناه بعض الوجوديين حينما قالوا : أن الإنسان " مشروع وجود : أكثر مما هو " موجود ".([6])

وتختلف طبيعة الإنسان عند ماركس تماماً عن آراء وأفكار علماء الاجتماع والنفس المعاصرين ، فهو لا يعتقد بأن الإنسان عند ولادته صفحة بيضاء من الورق تقوم الثقافة بتحبيرها ، ولكنه يري أن الإنسان كينونة قابلة للمعرفة والإدراك ، أي أن الإنسان ككائن من الممكن تحديده ليس فقط بيولوجياً وتشريحياً وفيزيولوجياً ولكن سيكولوجياً أيضا ، فجوهر الإنسان في تغايره عن الأشكال المتنوعة لوجوده التاريخي ، انه جوهر متاصلاً في كل فرد علي حدة.([7])

([4]) د.صلاح قنصوة : الدين والفكر والسياسة ، مكتبة دار الكلمة ، القاهرة ، 2003 ، صـ 84 .
([5]) القران الكريم ، سورة البقرة ، الأية 34.
([6]) د.زكريا إبراهيم : مشكلة الإنسان ، مرجع سابق ، صـ 9.
([7]) إريك فروم : مفهوم الإنسان عند ماركس ، ترجمة .محمد سيد رصاص ، دار الحصاد للنشر والتوزيع ، دمشق ، ط1 ، 1998 ، صـ 43 ، 44.

وقد اختلفت المذاهب الفكرية حول تحديد ماهية الإنسان ، فذهب البعض إلي الإنسان يتمثل في الجسد ، بينما ذهب البعض الأخر إلي أنه القوة الروحية التي تحرك ذلك الجسد.([8])

فتنظر الوجودية إلي الإنسان علي أنه وجود لا ماهية له ، وتؤمن بالحرية المطلقة التي تمكن الفرد من أن يمتع نفسه بنفسه ، ويملأ وجوده علي النحو الذي يملؤه ، وصرفت بهذا النظر عن البحث في الوجود الميتافيزيقي.([9]) فالوجودية تري أن الكون والحياة لا هدف لها ، ولا غاية لها ، ولا عدل فيها ، وإنما كلها ضلال وعبث ، وأن الوجود الإنساني كله ضياع ، ومن المستحيل أن تحقق الإنسانية فيه وجوده ، حيث يفقد الإنسان معني الحياة وهدفها ، كما يفقد العنصر الذي يوجد الترابط بين أجزائها ويعطي أحداثها تفسيرها ومعناها وهو الدين ، ولكن الوجودية لا تقف عن تسجيل الضياع والعبثية وفقدان المعني والغاية ، ولكنها تقدم حلا للمشكلة وهو أن يعيش الإنسان يحقق وجوده.([10]) حيث أن المصادفة هي الأساس لكل وجود إنساني.([11])

فقد ذهب سارتر إلي أن الإنسان كائن حائر ، وأن وجوده يحمل العدم في صميمه ، بل أن وجود الإنسان عند سارتر مرادف للقلق ، كما أن الإنسان عنده يخترع نفسه ويصنع نفسه ويريد لنفسه ، ويتصور نفسه بعد الوجود ، فهو وحده خالق قيمه ومعاييره ، فحريته هي الأساس الوحيد للقيم ، وليس ثمة شيء يلزم الإنسان بإصطناع تلك القيمة ، فالحرية عنده هي إرادتنا وأهوائنا وحياتنا لا شيء غير العبث والضياع ، ومن ثم يظل الإنسان في هذا العصر يعيش حالة من الضياع إذا لم يتجاوز القلق وينتقل إلي مرحلة الإيمان(.)[12]

([8])Andrew Edgar ; The Philosophy of Edgar , A Comprehensive Analysis of Edgar's Ideas,p.60.

([9]) د. محمد عبد الرحمن مرحبا : الموسوعة الفلسفية الشاملة من الفلسفة اليونانية إلي الفلسفة الإسلامية ، عويدات للنشر والطباعة ، 2000، صـ 36.

([10]) محمد قطب : مذاهب فكرية معاصرة ، دار الشروق ، القاهرة ، 1973 ، صـ 491 -492.

([11]) د. محمد ابراهيم الفيومي : الوجودية فلسفة الوهم الانساني ، الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية ، القاهرة ، 1984 ، صـ 79.

([12]) أبو الوفا الغنيمي التفتازاني ، الانسان والكون في الاسلام ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1975 ، صـ 82.

1.التأصيل البيولوجي :

كان البيولوجيون يرون أن الأنسان أحد السلالات الحيوانية التي تمثل أعلي صورة من صور التطور في سلسلة الكائنات الحية ، والخلية الحية هي وحدة جسمه ، كما هو الحال في سائر النباتات والحيوانات ، وله من الخصائص الكثير مما يشترك فيه مع الحيوانات الأخرى ، أنه يكل وينمو ويتناسل ويحس ويتكيف ويتحرك.([13])

يتساءل إدجار موران عن ماهية الإنسان وطبيعته وكينونيته ومصيره ، يقول " من نحن ؟ هذا التساؤل غير منفصل عن " أين نحن ؟" من أين أتينا؟ والي أين نحن ذاهبون ؟" لا تعني معرفة الإنسان فصله عن الكون ، بل تحديد موقعه فيه.([14])

الإنسان عند إدجار موران مصطلح متنقض ومزدوج ، أنه في الواقع جد معقد بالنسبة للأذهان المجبولة علي إجلال الأفكار الواضحة والمميزة .الإنسان كائن معقد غامض ، مجزأ إلي أجزاء معزول كل منها عن الأخر داخل العلوم الإنسانية ، تجعلنا لا ندرك الوحدة المعقدة لهويتنا ، فلا يتحقق الالتقاء الضروري بين العلوم البشرية لإعادة صياغة الوضع البشري ، إذ لا حضور للإنسان في علوم العالم الفيزيائي " الألة الحرارية " ، كما أنه مفصول عن عالم الأحياء " الحيوان " ، فهو مجزأ إلي أجزاء معزول كل منها عن الأخر داخل العلوم الإنسانية.([15])

والحقيقة أن الكائن البشري ليس فيزيائياً في جزئياته وذراته فحسب ، بل ان تنظيمه الذاتي ناجم عن تنظيم فيزيائي كيمائي أنتج سمات انبثقت لتكون الحياة ، وتتطلب جميع أنشطته ذاتية التنظيم عمليات فيزيائية – كيميائية ، وهو بهذا آلة حرارية أيضا تشتغل علي درجة 37 درجة مئوية ، ولا يخضع العالم الفيزيائي الذي انبثقنا منه إلي نظام خاضع لقوانيين صارمة ، ولكنه في الوقت نفسه لا يخضع كلياً للفوضى ومحض المصادفة ، إنه مأخوذ من لعبة كبيرة بين نظام

([13]) حسن أحمد الحياري : أسرار الوجود وانعكاساتها التربوية ، دار الأمل ، الأردن ، ط1 ، 1994 ، صـ 283.

([14]) إدجار موران : النهج – إنسانية البشرية – الهوية البشرية ، ترجمة . هناء صبحي ، أبو ظبي للثقافة والتراث ، الإمارات العربية المتحدة ، طـ 1 ، 2009 ، صـ 33.

([15]) المصدر السابق ، صـ 22، 23.

وفوضي وتفاعل وتنظيم ، وتولد التنظيمات من خلال التنظيمات من خلال لقاءات عشوائية ، وتخضع إلي عدد معين من المبادئ التي تحث علي ارتباط عناصر لقاءات في كل واحد.([16])

ويعرف الطبيب الفرنسي الحاصل علي جائزة نوبل عام 1912 في كتابه " الإنسان .. ذلك المجهول " علي أنه مكون من مادة طرية متغيرة قابلة لان تتفكك في بعض الأحيان ، ومع ذلك فهو يدوم مدة أطول مما لو كان قد صنع من الفولاذ ، وهو لا يبقي فحسب ، وإنما يتغلب عليه الصعاب والأخطار التي تكون في الخارج أو في الوسط الذي يعيش فيه ، ويصلح أكثر الحيوانات الأخرى لان تعيش في الأجواء المتقلبة.([17]) وهكذا فإن كاريل يركز علي أن جسم الإنسان من ناحية الأخلاط والأنسجة وهو عندما يتلقي الحوادث يتعبرها ظاهرة ، ويتغير إذا اقتضي الأمر بدلا من أن يهيئ نفسه دائما لمواجهة ما يجد ، ولذلك فإنها لا تتغير ولا تتبدل ولا تتحول علي الرغم من الضعف والليونة في الأنسجة.

وقد شبه إدجار موران الإنسان بالحيوانات والفقاريات والثدييات من حيث صفاتها وإن كان يتفوق عليها في بعض الأحيان ، ويتضح ذلك في قوله "الإنسان من فئة الفقاريات ، وهو أقل كفاءة بالتأكيد في كثير من الأداءات من الفقريات المائية والطيور ، ولكنه تمكن من التفوق عليها بتقنية خاصة في مجالات عديدة . فهو يعبر عن عواطف الثدييات بالحب والحنان والغضب والكره محتفظاً بصبغة صدامات ناضجة ، وبعلاقات الصبا الأخوية ، مُنمياً مزايا الذاكرة والذكاء والانفعالات المتصلة بهذا الصنف دافعاً بالقدرة علي الحب والمتعة والمعاناة إلي أقصى حد.. فالكائن البشري ذو طاقة حيوية متغيرة يُنشي من خلال قدراته التنظيمية والإدراكية أشكالا جديدة للحياة نفسية وروحية واجتماعية.([18])

والتشابه بين الإنسان والحيوانات عند " موران " وصل إلي درجة أننا قريبون جداً من الشمبانيزي والغوريلا 98% من جيناتنا متماثلة ، فالإنسان يضيف ما هو جديد إلي عالم

([16]) المصدر السابق ، صـ 35 .

([17]) د.عبد الفتاح الديدي : الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1985 ، صـ 161.

([18])إدجار موران : النهج – إنسانية البشرية – الهوية البشرية ، مصدر سابق ، صـ 39.

الحيوانية ، وتشير نسبة 2% من الجينات الأصلية إلي إعادة تنظيم وهذا مهم جداً للموروث الوراثي ، وهذا الاختلاف البسيط هو الذي يشكل الإختلاف الكبير ، ولم يحل ضعف جسم الإنسان بالقياس إلي عدد من الحيوانات دون انطلاقة البشرية الكبيرة ثم هيمنتها علي عالم الأحياء ، كما لو كان تطور ذكاء الفرد والتنظيم الإجتماعي يعوضان عن القصور أو العجز في أعضائنا (العضلات ، والبصر ، والسمع ..الخ)، بل أكثر من ذلك أصبح الفقر أو النقص في الملح أو الفيتامينات دافعاً للبحث والاكتشافات والاختراع.([19])

ويتفق كاسيرر مع إدجار موران في رؤيته للإنسان ، فالإنسان عند كاسيرر لم يعد مجرد حيوان ناطق ، وإنما أصبح في المحل الأول حيوانا خالقا للرموز ، وأصبحت هذه الصفة هي الدليل الوحيد علي إنسانيته ، يقول كاسيرر " أن الطابع المميز الأكبر للإنسان أي علامته الفارقة ليس هو طبيعته الميتافيزيقية أو المادية ، وإنما هو عمله وهو الذي يحدد دائرة الإنسانية ، وتمثل اللغة والأسطورة والدين والفن والعلم " وعمل الإنسان هو ما تفرزه روحه في كل لحظة من لحظات حياته من أشكال رمزية مختلفة من لغة إلي فن إلي علم ، وهذه الأشكال الرمزية بدورها تمثل الإنسان بإعتباره عملا وأداء ، تمثله بإعتباره فاعلية ديناميكية ، ولما كانت هذه الأشكال الرمزية بدورها أشكالا حضارية كان معني هذا أن الإنسان عند كاسيرر مخلوق حضاري بالدرجة الأولي يتجلي فعله الإبداعي في مختلف الأنشطة الحضارية.([20])

ويضم الإنسان عند "موران" وحدة الثنائيات ، فهو كائن بيولوجي كلياً ، وثقافي كلياً أيضا ، أي أنه يحمل بداخله وحدة الثنائيات الأصلية ، أنه كائن حي فائق وخارق ، حيث طور بشكل هائل إمكانات الحياة ، وبشكل متضخم خصائص التمركز علي الذات والانفتاح علي الغير ، إن الإنسان كائن قادر علي الوصول إلي أوج الحياة بشطحاتها ونشواتها القصوى ، ثم أنه يندفع بشكل أعمي نحو النزوات التهتكية ، وهكذا يبقي الإنسان الكائن العاقل ، وبناء علي هذا الامتلاء الخارق بالحيوية مفتوحاً علي الدوام علي الإنسان الكائن الجنوني. وهكذا فالإنسان كائن

([19]) المصدر السابق ، صـ 40، 41.

([20]) د.مجدي الجزيري : الفن والمعرفة الجميلة عند كاسيرر ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الاسكندرية ، صـ 140.

بيولوجي كلياً ، والثقافة هي التي تمكنه من الخروج من أسفل من الرئيسات ، وتراكم الثقافة وما تم الاحتفاظ به وثقله وتعلمه كما تتضمن معايير ومبادئ الاكتساب.([21])

ولن تتحقق الإنسانية في الإنسان بشكل كامل إلا من خلال الثقافة ، ولا توجد ثقافة بلا دماغ بشري باعتباره الألة البيولوجية المسؤولة عن الفعل والإدراك والمعرفة والتعليم ، كما أنه لا وجود للفكر " القدرة علي الوعي والتفكير " إلا بالثقافة ، وهكذا يولد الفكر البشري ويتحقق داخل العلاقة الدماغ والثقافة.([22])

فقد حظت الثقافة the culture بإهتمام كبير لدي إدجار موران وذلك من خلال علاقتها بمفهوم الإنسان ، فالإنسان لا يكتمل إلا من خلال الثقافة ، فهي إنتاج لقدرات العقل البشري ، حيث وضع موران أسس وشروط يمكن خلالها إيضاح مفهوم الإنسان المركب وإبراز معالم الإنسانية.([23])

2.العقلانية Rationality

رأي إدجار موران أن الإنسان يجمع بين الحيوانية والعقل والسلوكيات والثقافة .. فلن تقتصر البشرية علي الحيوانية أبداً ، ولكن لا وجود للبشرية دون الحيوانية .. فالإنسان العاقل لا يكتمل بوصفه كائناً إنسانياً تماماً إلا من خلال الثقافة ، وما كان للثقافة أن تقوم دون قدرات العقل البشري ، وما كان للكلام والفكر أن يوجدا دون ثقافة .. فالثقافات أصبحت تطورية بوساطة الابتكارات وتبني المكتسبات وإعادة التنظيمات وتطورت التقنيات وتغيرت المعتقدات والأساطير وتحولت المجتمعات من مجموعات قديمة صغيرة إلي مدن وأمم وإمبراطوريات ضخمة، وتطور الأفراد تطوراً عقلياً وذهنياً ونفسياً وعاطفياً داخل تلك الثقافات والمجتمعات ، فالثقافة تتكون من مجمل العادات والتقاليد والممارسات والمهارات والمعارف والقواعد والمعايير ، والمخرجات

([21]) إدجار موران : تربية المستقبل – المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل ، ترجمة عزيز لزرق ومنير الحجوجي ، منشورات اليونسكو .فرنسا ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، طـ 1 ، 2002 ، صـ 49.

([22]) المصدر السابق ، صـ 50.

([23])Christopher Watson ; Edgar’s Legacy ;Continuity and Relevance in Contemporary Thought , 2012, p. 94.

والاستراتيجيات والمعتقدات والأفكار والقيم والأساطير ، وتستمر من جيل إلي جيل أخر ، ويستعيدها كل فرد وتولد التعقيد الاجتماعي وتجدده. فالثقافة أول رأسمال إنساني وبدونها يصبح الكائن البشري من اللبائن الدنيا في أخر السلم ، وبدون الثقافة يصبح المجتمع مهدد بالزوال والتبديد والتهديم.([24])

ويتفق وليم أرنست هوكنج مع إدجار موران في عملية الارتقاء بالنسبة لأي شخص ذو عقلية متفتحة ، يعلم أن الجسد الإنساني أصله حيواني ، وأن العقل تطور مع هذا الجسد ، وأن المعايير الأخلاقية تم اكتشافها دفينة داخل الهيكل " سلوك الحيوان " وبدراسة خصائص الطيور لاحظ أن الغضبان من الحمام يهدأ من غضبه عندما يجد موجة أو عضوا من عشيرته أو مجموعته ، وبالتالي يظهر هذا العديد من المجموعات البشرية ويجسد في صورة قواعد وقوانين أخلاقية.([25])

ورغم أن العقل هي الصفة التي تميز الإنسان عن سائر المخلوقات ، إلا أن "موران" يري أنه حتي تلك الصفة او السمة التي يختص بها تزول لدي الكثير من البشر الذين يلجأون إلي السحر والشعوذة والخرافات التي لا تتقف تماماً مع العقلانية ، ويتضح ذلك في قوله :" يتساءل "موران" عن الصفة التي تميز الإنسان عن الحيوان ، هل هو العقل؟ وهل حقاً أن الحيوان لا يمتلك عقلا؟ يجيب بأنه من المتعارف عليه أن عقلانية الإنسان " العاقل " وقدراته العقلية هما السمتان الخاصتان بالبشر.. كما أن للحيوانات سلوكاً عقلانياً للتخلص من الخطر والبحث عن الطعام والتكاثر ، بينما يتجلي تميز البشر في ظهور الميثولوجيا والسحر ، إلا أن العلماء يدينوا تلك العقبات والأفعال لكونها غير عقلانية ، ومع هذا شهدت العقلانية تطوراً مذهلاً بالفلسفة والعلم والتقنية ، فلنحتفظ بالإنسان "العاقل" والمصنع علماً بأننا سنضيف إليهما الإنسان المجنون والمولع باللعب والمؤمن بالأسطورة .. ومنذ فترة ما قبل التاريخ تأزرت العقلانية والأسطورة والتقنية والسحر في الطقوس الجنائزية وطقوس الصيد ، ونجدها تكميلية ومتناقضة في الوقت

([24]) إدجار موران : النهج – إنسانية البشرية – الهوية البشرية ، مصدر سابق ، صـ 45 ، 46.

([25]) W.E.Hocking ; The Self its Body and Freedom , New York , Yale University Pres ,London , 1928, p. 3.

نفسه في الحضارات العريقة ، فضلاً عن ذلك ما فتئ التطور التقني يعمل علي خدمة الحلم في السيطرة علي الأرض والبحار والسماء ، كما يتلقي الإنسان سرد الأساطير بمثابة حقيقة ، وهي تتضمن تحولات لا متناهية كالانتقال من حالة الإنسان إلي حالة الحيوان أو النبات أو المعدن والعكس ، وحضور قرائن من أرواح وآلهة تخطي بالسلطة.([26])

3. الموت death

الموت هو تلك الصخرة العاتية التي طالما تحطمت فوقها آمال البشرية ، أليس الموت هو الذي دفع سليمان الحكيم إلي القول بأن " الكل باطل وقبض الريح " أليس الموت هو الذي أنطق شكسبير عباراته التي يقولها علي لسان ماكبث :" إنما الحياة ظلال شاردة ، ممثل تعس يظل يهدي ويصرخ علي خشبة المسرح إلي أن ينتهي دوره فلا يعود أحد يسمع صوته ! أستغفر الله ! بل إنما الحياة أقصوصة يرويها أحمق ، أقصوصة مليئة بالسعار والصراخ ، ولكنها لا تعني شيئا" ، إن الموت هو الحد النهائي الذي يتحدي القيم ، وكذب شتي مزاعم الإنسان ، ويلقي علي كل ما في وجودنا من آمال ظلال الفناء الاسود البغيض ، ومن ثم فقد كان حلم الإنسانية الأكبر هو التواصل إلي القضاء علي الموت ، حينما مات ديكارت كتبت أحدي الصحف في نعيه :" مات في السويد أحمق كان يقول أن في استطاعته أن يعمر في الحياة ما شاء "، والناس قد دأبوا من القدم علي نسيان الموت أو تناسيه بشتي الحيل والأساليب ، وهو ما دفع بوسويه إلي القول " أن اهتمام الناس بدفن أفكارهم عن الموت قد لا يقل شأنا عن اهتمامهم بدفن موتاهم ([27])."

رأي بعض المفكرين أن الحياة ما هي إلا الموت نفسه ، فالإنسان يشرع في الموت بمجرد أن يولد ، والفترة المحدودة التي يعيشها أو يحياها هي التي يستغرقها قبل موته ، وقد صور لنا الشاعر الفرنسي " لافونتين " في إحدي حكاياته " الموت والحطاب " هذا الموقف تصويراً رائعاً ، يقول :" ما بالك وأنا أحاول الآن أن أجعلك تري في الحياة ما رأيت أنا فيها من أنها هي الموت

([26]) المصدر السابق ، صـ 53 ،54 .

([27]) د.زكريا إبراهيم : فلسفة الإنسان ، مرجع سابق ، صـ 110 ، 111.

، وأنا أقول ذلك لا أمزح بل أقول الجد عين الجد ، ولا أقول أن الحياة هي الموت في فترات اليأس والعزوف والابتعاد عنها فحسب ، بل أصفها بذلك في أفراحها وأتراحها في حلوها ومرها ، في كل لحظة يمر فيها المرء ، ولا يعنيني إذا كانت هذه اللحظة لحظة سعادة أم شقاء ".([28])

ومفهوم الإنسانية عند الماركسيين نسبي يتبدل ويتغير ويتجدد ، فكل تغير وتجدد يتمم الأشكال السابقة من غير أن تشذ عنها بتغيره الدائم ، فالإنسان لن يتمتع بالخلود الأبدي ، ولا يمكن بحال من الأحوال أن تشارك الإنسانية في معني الخلود ، فليست هناك إنسانية خالدة.([29])

وقد حاول الإنسان في كل زمان ومكان أن يقهر الزمان ويصرع الشر ويسحق الموت ، ولكنه لم يلبث أن تحقق من أن صراعه اليائس ضد هذا الثالوث المارد الجبار إن هو إلا جهد ضائع لابد من أن يبوء بالفشل والخيبة والدمار ، هكذا اعترف الإنسان بأنه فريسة للإمكان والعرضية والفناء ، فحاول أن يخفف من حدة شعوره بالتناهي والقلق والشقاء ، فقد تمرد علي الطبيعة وثار علي المجتمع وشق عصا الطاعة علي الله دون أن يدري أنه لولا هؤلاء " الأغيار " لكان وجوده نفسه غير ذي موضوع ، والحقيقة أنه مهما حاولنا إقناع الإنسان أنه ابن الطبيعة البكر ، وربيب المجتمع ، وصنيعة اليد الإلهية ، فإن هذا المخلوق الجحود الناكر لن يستطيع أن يبقي علي وفائه للطبيعة ، أو أن يعترف بما للمجتمع من حقوق عليه ، أو أن الله هو واجده وصانعه وخالقه.([30])

ولا شك أن فكرة الموت تثير القلق والرعب في النفس ، فالموت يشغل ذهن الإنسان ، ويكون ارتباط حتمية الموت بعدم التيقن من ساعة حدوثه مدعاة للقلق طوال الحياة ..ويدفع انشغال ذهن الإنسان بالموت إلي تساؤل الإنسان عن أسرار وجوده ومصيره وعن الحياة والكون وحين يُفضي التفكير بالموت إلي اللامتناه ، إلي اللغز يفضي الذهن بإزاء الطبيعة إلي الانفتاح علي العالم .. ولا تقتصر الوعي بالموت علي لحظة الموت وحدوثه ، فالوعي بالموت يجعل الموت

([28]) د.أمل مبروك : فلسفة الموت – دراسة تحليلية ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2011 ، صـ 8 ،9 .

([29]) د.علي عبد المعطي محمد : أعلام الفلسفة الحديثة ، دار المعرفة الإسكندرية ، 1997 ، صـ 30.

([30]) د.زكريا إبراهيم : مشكلة الإنسان ، مرجع سابق ، صـ 135.

حاضراً في الحياة ، ينشأ لدي الطفل بين السادسة والثامنة من عمره وعي كامل بالموت ، ويدركه لا بمثابة اختفاء فحسب ، بل كتحطيم للفردانية ، فيرافقه حينئذ الوعي بالموت.([31])

ولكن لماذا يخشي الإنسان الموت ؟ أليست حياتنا العادة مليئة بتجارب الموت ؟ ألسنا نختبر الموت حين نودع شبابنا ، ونختبره حين نغادر بعض الأمكنة إلي غير رجعة ، ونختبره حين نخلف وراء ظهورنا أشخاص لن تتاح لنا الفرصة مرة أخري لرؤيتهم ، ونختبره أيضا حينما نصطدم بالغياب أو الإنفصال أو الحرمان أو النسيان أو الفراغ أو الضياع أو ما إلي ذلك من تجارب سلبية ؟ أليس الموت ظاهرة معانقة للحياة نفسها ، مادام التناهي هو نسيج الموجود نفسه ؟ فلماذا يثير فينا الموت كل هذه المخاوف؟([32])

وتدخل فكرة الموت كفناء للذات ، التناقض والأسي والرعب في دخيلة الشخص ، لكن الذي يعرف أن الموت بانتظاره وأنه سيؤول إلي لا شيء فيصبح هذا التناقض بين كل شيء ولا شيء أعمق مصدر لقلقه ويحمل كل فرد بموته الضئيل جداً كارثة نهاية العالم .. ويمثل موقف الإنسان إزاء الموت صدمة عقلية متأتية من الوعي العقلاني وانبثاق أساطير الحياة ما بعد الموت لتهدئه الصدمة والوعي الواقعي بالموت هو الذي يبعث الأسطورة ، إذ يثير الموت رعباً شديداً أن ينكر نفسه ويحيدها ويتغلب علي نفسه من خلال أساطير يحيا فيها الفرد كشبح أو قرين يولد مرة أخري في هيئة إنسان ، ويؤكد فكرة رفض الموت الأساطير القديمة بشأن الحياة بعد الموت ، ومن ثم المفاهيم التاريخية للانبعاث بعد الموت " دين الخلاص ".([33])

ويكمننا فهم الوعي الإنساني بالموت علي نحو أفضل ، فالموت ليس تحلل جسد فحسب ، بل فناء ذات في الوقت نفسه ، إن الوضعنة Objectivtion القصوى للموت والتحلل والفناء ، ملازمة لذاتية الموت القصوى ، بما أن الذات هي التي تفني . إن موت الشخص العزيز يحطم لدي المحب " نحن " الأكثر حميمية ويفتح جرحاً لا يندمل في قلب ذاتيته ، والموت عبارة عن إتحاد الوضعنية والذاتانية Subjectivation المطلقتين ، ويُدخل الموت التناقض في مركز

([31]) إدجار موران : النهج – إنسانية البشرية – الهوية البشرية ، مصدر سابق ، صـ 61.
([32]) د.زكريا إبراهيم : فلسفة الإنسان ، مرجع سابق ، صـ 111 ، 112 .
([33])إدجار موران : النهج – إنسانية البشرية – الهوية البشرية ، مصدر سابق ، صـ 59 ، 60.

وعي الذات ، لذلك فإن الموت لا ينكر. ويقهر بالبعث .. فالموت من أعمق مصادر المثيولوجيا الإنسانية ، ويستدعي الشعائر وطقوس الموت والعبادات والقبور والصلوات والفلسفات التي تُعزم لإبعاده.([34])

وليس الخوف من الموت مجرد خوف من الفناء بصفة عامة ، بل هو خوف ممن انسحاب الفناء عن تلك عن تلك "الأنية" المعنية التي يمتلكها كل فرد منا بوصفه شخصاً قائما بذاته ، حيث أن الإنسان هو الموجود الوحيد الذي يتميز بالفردية والشخصية والوعي والتفكير ، ومن ثم فانه موته ينطوي علي مشكلة عميقة ، بل سر مستغلق لا سبيل إلي تفسيره بالتحدث عن بقاء النوع البشري أو استمراره ، وهذا ما يؤكده الفيلسوف الرواقي سينكا " إذا أردت ألا تخشي الموت ، فإن عليك ألا تكف لحظة عن التفكير فيه" ، وهكذا فإن الموت سوف يظل سراً مغلفا بالأساطير والخرافات والوعود ، وعلي حد تعبير (جبريل ماوسل) أن الموت ليس مجرد مشكلة وإنما هو سر ، والفرق بينهما أن المشكلة شيء يلتقي به المرء من الخارج فيقف حجر عثرة في سبيل تقدمه ، أما السر فهو شيء يتلبس بنا ويغلف بغموضه صميم وجودنا ، فلا يملك أن ننظر إليه من الخارج ، لأننا مرتبطون به ومندمجون فيه ، ومن ثم فإن الموت سراً لا يكاد ينفصل عن صميم وجودنا مادام وجودنا وجودا زمانياً متناهياً يسير حتماً نحو الفناء.([35])

وانتقد "موران" القوي العظمي في القرن الحادي والعشرين التي تسعي إلي البقاء الدائم وإمتلاك الأدوات والأساليب التي تمكنها من مرحلة الفناء ، إلا أنها مسرعة نحو الهلاك والفناء وموت العالم بأسره من خلال نفس الأدوات التي اعتقدت أنها وسائل البقاء ، ألا وهي أسلحة الحرب النووية والتدمير البيئي ، ويتضح ذلك في قول موران :"علينا ألا ننسي ونحن نحلق فوق جميع الإمكانات المستقبلية العظيمة هذه ، هناك تحطيم وموت ، فالقرن الحادي والعشرون الذي لاحت فيه بوادر أول انتصار بشري عظيم غير مكتمل ، ولا يمكن إكماله بالتأكيد علي أسوأ حتمية بيولوجية ، ألا وهي الموت ، لكن أول انتصار عظيم للموت علي النوع البشري من خلال

([34]) المصدر السابق ، صـ 98.
([35]) د.زكريا إبراهيم : فلسفة الإنسان ، مرجع سابق ، صـ 114 ، 115 .

الحرب النووية والتدمير البيئي .. إن قوي الموت والحياة المتصلة بالبشرية تتطور علي إيقاع واحد ، يمكن تحجيم قوي التدمير والتغلب عليها ، ولكن لن يتم التخلص منها نهائياً من الآن فصاعداً ، سيرافق مسيرة البشرية تهديد الموت العالمي".([36])

المبحث الثاني : مفهوم الحضارة ومقوماتها

يعد مفهوم الحضارة Civilization من أكثر المفاهيم إثارة للجدل ، فقد انشغل الفلاسفة والمفكرين وعلماء النفس والاجتماع والأنثروبولوجيا واللغة للتوصل إلي تعريف جامع للحضارة ، إلا أنه ليس من السهل الإجماع علي تعريف دقيق ، ولذلك تعددت التعريفات الخاصة بهذا المصطلح.([37])ويعد الألمان أول من استعمل لفظ Kultur لتدل علي الحضارة واستعملوها في هذا المعني زمناً طويلاً ، وأخذوا هذا اللفظ من اللاتينية ويراد به إصلاح الشيء وتهذيبه وإعداده للاستعمال.([38]) وقد ظهرت كلمة Civilization عام 1734 م باللغة الفرنسية ، وتنحدر مباشرة من صفة متحضر المشتقة من صفة " مدني ، حضري ".([39])

الحضارة علم ومعرفة وخبرة وتجربة ، وكل هذه تزيد ملكات الإنسان إرهاقاً ، وتفجر كيانه ينابيع جديدة من القوة والتفتح ، كما أنها مجموعة من المنظومات المادية والفكرية المتشابكة التي تؤمن للإنسان مزيداً من الراحة والحد الأدنى من الشقاء في سبيل حياة أفضل ، وبمعناها الواسع هي التقنيات والآليات وأساليب الحياة بما في ذلك أساليب الإدارة والتنظيم والقوانين والشرائع التي تساهم في بناء المجتمع وتوجيه قدراته نحو خير الجميع وخدمة المصلحة العامة ، ومن ثم فإن

([36]) المصدر السابق ، صـ 301.

([37])Samuel P. Huntington ; The Clash Of Civilization And The Remaking Of World Order, Simon E. Schuster, new York, 1996,pp41,42.

([38]) د. حسين مؤنس : الحضارة – دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، العدد 1 ، يناير 1978 ، صـ 324.

([39]) رولان بريتون : جغرافيا الحضارات ، ترجمة .خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات ، لبنان ، بيروت ، 1993، صـ 19.

حضارة اليوم هي بالضرورة الملحة التراكمية للحضارات التاريخية والجغرافية السابقة ، مضافاً إليهما إنجازات الحضارة المعاصرة.([40])

ويري ول ديورانت Will Durantفي كتابه " قصة الحضارة " إن الحضارة نظام اجتماعي يساعد الإنسان علي الزيادة من إنتاجه الثقافي ، وتتألف الحضارة من عناصر أربعة : الموارد الاقتصادية ، والنظم السياسية ، والتقاليد ، والعلوم والفنون ".([41])

ويري هينتجتون أن الحضارة علي أنها الكيان الثقافي الأوسع ، القري والمناطق والجماعات العرقية والقوميات والجماعات الدينية ، حيث أن جميعها يمتلك ثقافات محددة وبمستويات مختلفة من التمايز الثقافي ، هكذا فإن الحضارة هي أعلي تجمع ثقافي من البشر وأضخم مستوي من الهوية الثقافية يمكن أن تميز الإنسان عن سائر الكائنات الأخرى ، حيث تضم موضوعات مثل اللغة والتاريخ والدين والعادات والمؤسسات .([42])

1.السياسة الحضارية عند إدجار موران

حظت الحضارة باهتمام إدجار موران ، حيث ربط بينها وبين السياسة ، والحقيقة أن موران لم يكن الأول الذي ربط بين الحضارة والسياسة ، فقد أثار صامويل هنتيجتون الجدل في كتابه " صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي" ، وكأنه يريد أن يقول أن الصراع بين الحضارات شرط أساسي لإعادة تشكيل النظام العالمي ، أو أن إعادة تشكيل النظام العالمي يقتضي الدخول في حروب بين الحضارات.

ذهب "موران " إلي أن عبارة سياسة الحضارة فرضت نفسها عليه في بداية الثمانينيات ، وهي ترتبط بما اسماه أنداك سياسة الإنسان ، وهي عبارة تفيد سياسة متعددة الأبعاد ؛ لأن كل مشاكل الإنسانية تكتسب اليوم بعداً سياسياً ، حيث تبنت الحركة الاشتراكية مشروع الثورة

([40]) إحسان النبي : الحضارة بين النعمة والنقمة ، منشورات دار علاء الدين ، دمشق ، طـ 1 ، 2000 ، صـ 5.

([41]) ول ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة د. ذكي نجيب محمود ، الجزء الأول ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1949 ، صـ 5.

([42]) صامويل هنتيجتون : صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي ، ترجمة طلعت الشايب ، سطور للنشر والتوزيع ، طـ2 ، 1999، صـ 7.

الفرنسية المركز في الشعار الثلاثي (الحرية ، المساواة ، والإخاء) وقد أخذت سياسة الحضارة علي عاتقها مهمة القضاء علي بربرية العلاقات الإنسانية المتمثلة في استغلال الإنسان للإنسان والأنانية والتعصب العرقي والقساوة واللا تفاهم.([43])

لذلك رأي " موران " ضرورة إضفاء الطابع الحضاري علي الجانب المتوحش من حضارتنا ، وهل يمثل الطموح الأساس الذي كانت تطمح إليه الجمهورية والنظام الإشتراكي ، فلابد من الإصلاح الثقافي ، حيث تشكلت أذهاننا حسب تصور يفصل المعارف بعضها عن بعض ، وإعادة بناء السياسة ، فالنظام الذي لا ينطوي علي وسائل لمعالجة مشاكله هو مجتمع محكوم عليه بالتقهقر ، بل الموت أو التغير، ولن يتحقق التغير إلا برفضنا التقهقر ومقاومتنا للموت.([44])

ولا شك أن سياسة الحضارة تعمل علي تنمية جميع الجوانب الإيجابية للعلوم والتقنيات والدولة الرأسمالية والفردية .. إلخ ، فسياسة الحضارة تعيد التطلع إلي المزيد من المشاركة والتآخي والحرية وتحسين العلاقات بين البشر ، ومن ثم نعزل مشاكل البطالة والشغل والإقصاء خارج سياقها ، وندعي إلي معالجتها انطلاقاً من منطق اقتصادي مغلق ، إذ ينبغي دراستها داخل إشكال كبير للمجتمع ، والإنطلاق من متطلبات الحضارة.([45])

وعملية إصلاح السياسة الحضارية عملية مهمة ومعقدة ، فجميع القضايا والمشكلات الإنسانية تنصب في دائرة الحضارة، وقد دعي موران إلي إصلاح الفكر وإعادة أنثروبولوجي وسياسي للإنسان علي الصعيد العالمي تعمل علي تربية النوع البشري والسماح بانبثاق طبيعة إنسانية مستقبلية مختلفة ، ومن ثم فإن إصلاح السياسة الحضارية اتخذت بعدين : البعد الثقافي والبعد السياسي ، وتمثل الأول في الربط بين علاقة الإنسان بذاته وعلاقته بالآخرين ؛ لأن الآخر ليس دائما غريب أو عدو ، بل يمكن أن يكون مماثلاً أو صديقاً شرط الابتعاد عن

([43]) إدجار موران : نحو سياسة حضارية ، ترجمة .أحمد العلمي ، الدار العربية للعلوم ، بيروت طـ 1، 2010، صـ 37.

([44]) المصدر السابق ، صـ 9 ، 10.

([45]) المصدر السابق ، صـ 38.

التمركز حول الذات ونبذ الانغلاق والانطواء ونشر الانفتاح وابداء التعاطف والاحترام والصداقة لكل شخص مغاير ، فلابد من تنظيم أنشطة الناس من أجل تحقيق تكامل بين الفرد والمجتمع والنوع وإيجاد سياسة حضارية وثقافة تحافظ علي نظام الطبيعة ومستقبل الحياة علي الأرض والعمل علي وحدة المعرفة ، ويدعو إلي استعادة طبيعة الأنسنة المفقودة.([46])

وسياسة الحضارة لها بعد تاريخي يكتسبها بالضرورة ، وهي لا تشير إلي نموذج أو إلي مشروع ، وإنما إلي سبيل ، وتدعو في آن واحد إلي إعادة غزو الحاضر وإعادة إحياء الماضي وإعادة بناء المستقبل ، وهي تسمح بإعادة إحياء أمل ملموس وسياسة المقاومة هذه للوحشية الجديدة تحمل في ذاتها مبدأ الأمل ، وسياسة الحضارة تحمل في ذاتها الاندفاع والمشاركة والأمل.([47])

2.سياسة التضامن الحضارية

لاشك أن التضامن Solidarity والتكافل الإنساني في ظل الظروف والكوارث التي تواجه العالم والممارسات الشنيعة التي تعد كابوساً مزعجاً للأفراد والجماعات داخل عالمنا المعاصر سلبت منه الأمن والأمان والاطمئنان ، وجعلته يعيش الخوف والإغتراب وينشد السلام الدائم بعد أن تعالت صيحات النزاعات والصراعات والهيمنة والغطرسة والسيطرة علي حقوق الآخرين ، وأصبحنا نعيش في عالم أحادي القطب يفرض فيه الأقوياء سيطرتهم ولغتهم وثقافتهم وسياساتهم علي العالم ، ومن ثم فكان ولابد من نشر التكافل والتضامن الإنساني في مواجهة تلك الصعاب والكوارث العالمية ونشر الحوار والثقافة بين أفراد الإنسانية.

ربط موران بين الوعي والتضامن ، بل جعله شرطاً لتحقيق التضامن ، فلم نعد بحاجة إلي التضامن مجهول الهوية التي تتحمل الدولة أعبائه وضماناته وتأميناته المتنوعة ، ولكن بحاجة إلي التضامن الملموس والذي نعيشه وينتقل من شخص لشخص ، ومن مجموعات لشخص ،

([46]) زهير الخويلدي : تعقد الطبيعة البشرية عند إدجار موران ، الفلسفة الغربية المعاصرة – صناعة العقل الغربي من مركزية الحداثة إلي التشفير المزدوج ، الجزء الثاني ، تأليف مجموعة من الأكاديميين العرب ، إشراف وتحرير د. علي عبود المحداوي ، منشورات ضفاف ، الرباط ، ط1 2013 ، صـ 1429.

([47]) إدجار موران : نحو سياسة حضارية ، مصدر سابق ، صـ 69 ،70.

ومن شخص لمجموعات ، وتتمثل أشكال التضامن : فرد داخله إمكانية للتضامن تظهر في ظروف استثنائية ، وهناك مجموعة قليلة من الناس لديهم غريزة دائمة تدفعهم لحب الخير للآخرين ليست متعلقة بنشر التضامن ، وإنما بتحرير القوة غير المستعملة للإرادات الخيرة ، وكذلك تشجيع سلوك التضامن.([48])

وقد اقترح " موران " إنشاء مشروع " دور للتضامن " علي أن يعمم في المدن والأحياء ومهمتها استقبال الحالات الحرجة والحاجات الأخلاقية المستعجلة من خلال مجموعة من المتطوعين المحترفين متضامين في كل إدارة والأماكن الاستراتيجية ، ويكون علي استعداد دائم لتوفير الاحتياجات اللازمة بعيداً عن أجهزة الدولة الرسمية ، كما اقترح تشجيع " اقتصاد تضامني " ويتمثل دورها في الدعوة إلي إقامة مبادرات تحفز علي التضامنات وإنشاء الجمعيات والتعاوينات ليس لها هدف في تحقيق الأرباح ، وإنما هي مؤسسات اجتماعية وخدمية للمواطنين ، كما أن المجتمع لا يمكنه أن يتقدم إلا من خلال توفير التضامن الحقيقي وضمان الحريات المتزايدة ،" فلا حرية بدون تضامن"، ولا بد من أن يعيش الناس حياة التآخي.([49])

كما دعى "موران" إلي تطبيق وتحقيق التضامن علي البشرية ، ينبغي علي الأمم المتحدة توفير وتخصيص أموال خاصة بالأزمات للدول المحرومة والبائسة والمريضة والفقيرة ، علي أن تكون هناك هيئة عالمية للصحة لعلاج الأمراض المعدية والمستعصية ، وتقديم الأدوية بالمجان ، وكذلك هيئة عالمية للتغذية من أجل توفير طعام للبؤساء والفقراء الذين يتعرضون للمجاعات ، كما ينبغي علي المنظمات غير الحكومية والدول الغنية أن تعتني بالقضايا الإنسانية وتبادر بتوفير كافة متطلبات الدول التي تتعرض للجفاف والفيضانات والأوئبة وتكون مهمة السياسة الحضارية تطوير وتنمية موارد الحضارة الغربية واستبعاد السياسيات الخاطئة والتكامل بين الحضارات.([50])

([48]) إدجار موران : نحو سياسة حضارية ، مصدر سابق ، صـ 41.

([49]) المصدر السابق ، صـ 44 ، 45 .

([50]) إدجار موران : هل نسير إلي الهاوية ؟ ترجمة عبد الرحيم حزل ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، 2012 ، صـ 78 ، 79.

ويتفق موران مع جون ديوي الذي ذهب إلي ضرورة إعلاء الجوانب الإنسانية الطيبة مثل التعاون والتضامن والإيثار وتعزيز قيم الخير والتسامح في المجتمعات من أجل تحقيق السعادة للجميع والإنسجام بين أفراد الإنسانية ، ويتضح ذلك في قوله :" يجب أن نبحث في الأخلاق عن الغايات النبيلة والأشياء الخيرة ، حيث ربط بعضها بتحقيق الذات والبعض الأخر بالطهارة والبعض بالسعادة وتحسين مستويات العيش المشترك".([51])

3.الانهيار الأخلاقي وعلاقته بالتقدم

يرتبط مفهوم الحضارة بالتقدم في شتي المجالات ، وقد قال هيراقليطس بالحركة الدائمة ، أي أن كل ما في الكون في حركة دائمة ، وأن سبب هذه الحركة هو الصراع ، وهو في رأيه أبو الأشياء ، ولولا الصراع والتنافس ما ظهر التقدم في الأشياء ، والصراع دائما إلي ظهور أشياء جديدة ، وتقتضي حياة أشياء معينة موت أشياء أخري ، وله أقوال مأثورة منها :" أليست النار تحي موت الهواء ، والهواء يحي موت النار ، والماء يحي موت التراب ، والتراب يحي موت الماء ، والحيوان يحي موت النبات ، والإنسان يحي موت الاثنين ، أي يعيش بموتهما معاً ".([52])

ورغم أهمية التقدم العلمي والتكنولوجي في إقامة الحضارات ، إلا أنه قد يكون سبباً في هلاكها وتدميرها ، وقد ربط " موران" بين التقدم العلمي في الحضارة العربية والفناء والإنهيار وتدمير البشرية ، ويتضح ذلك في قوله :" يبدو أكثر فأكثر أن التقنية لا يمكنها أن تصلح للأفضل ، كما يمكن أن تصلح للأسوء فحسب ، وهي بديهية بئيسة ، بل هي من حيث كونها تحت رقابة وتوجيه وتنظيم سلطات الدول والإمبراطوريات ، تكون بالأساس في خدمة الاستعباد والموت ، وهي بإمكانها من الآن إبادة الإنسانية ، في حين أن وعودها الجميلة والمحررة تتلاشي وتنمحي في الأفق".([53])

([51]) جون ديوي : إعادة البناء في الفلسفة ، ترجمة وتقديم : أحمد الأنصاري ، مراجعة د.حسن حنفي ، المشروع القومي للترجمة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 2010 ، صـ 145.

([52]) د. حسين مؤنس : مرجع سابق ، صـ 15.

([53]) إدجار موران : إلي أين يسير العالم ؟ ترجمة .أحمد العلمي ، الدار العربية للعلوم ، ناشرون ، بيروت ، 2009 ، صـ35.

والأخلاق هي الأساس الذي تقوم الحضارات في مختلف مراحل نموها وتطورها ، وتمثل إحدى مقومات استمرارها وبقائها ، وتنهار الحضارات فقدت أخلاقها ، إلا أن استمرارها يحتاج إلي التمسك بالقيم وترسيخ الأخلاق الفاضلة حتي تنعم الإنسانية بالاستقرار والسلام والوئام والتسامح والارتقاء بالفكر والاحساس وتهذيب النفوس والأرواح.

فمع التقدم الحضاري في كافة المجالات وخاصة الجانب التكنولوجي والسياسي ، إلا أنه صاحبه تخلف ثقافي ومعرفي وكذلك تخلف عاطفي، واندثار قيم التسامح والإيثار وانتشار الأنانية وفقدان الاحساس بالمسؤولية والتضامن ، وفقدان الناس القدرة علي المحبة والاجتماع والتواصل الإنساني وإلي تخلف وفساد أخلاقي.([54])

ويتفق "موران " مع أشفيتسر الذي ذهب إلي أن طابع الحضارة أخلاقي في الأساس ، وأنه ثمة ارتباط وثيق بين الحضارة ونظرتنا إلي الكون ، ويتساءل أشفيتسر هل من الممكن إيجاد أساس ثابت وحقيقي في الفكر لنظرية تكون في نفس الوقت أخلاقية ومؤكدة للعالم والحياة معاً ؟ فمستقبل الحضارة يتوقف علي تغلب الأفراد علي فقدان المعني واليأس الذين يميزان أفكار الناس ومعتقداتهم في هذه الأيام وبلوغ حالة من الأمل ، فبالبحث في ماهية الحضارة وطبيعتها نجد أن الحضارة في جوهرها أخلاقية ، وبما أن هذا القول يثير الدهشة والإشمئزاز لدي أصحاب النزعة التاريخية المادية والجمالية الذين يقصرون الحضارة علي التقدم في النواحي الصناعية والمادية.([55])

وهكذا فمع التقدم العلمي الهائل الذي شهدته الحضارة المعاصرة ، والثورة التكنولوجية والمعلوماتية وفرض هيمنتها علي العالم من الناحية المادية ، إلا أنها فقدت البعد الإنساني والأخلاقي وتعاملت معه بالتهميش والتجاهل.

المبحث الثالث : أزمة الحضارة الغربية

([54]) إدجار موران : نحو سياسة حضارية ، مصدر سابق ، صـ 25 ، 26.

([55])ألبرت أشفيتسر : فلسفة الحضارة ، الجزء الأول إنحلال الحضارة وإعادة بنائها ، ترجمة د.عبد الرحمن بدوي ، مراجعة د. زكي نجيب محمود ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ب.ت ، صـ 4 -7.

شهدت الحضارة الغربية أزمة حقيقية ، تمثلت في كل ما يخص المجتمعات الغربية من أزمة ثقافة وأزمة قيم ، وأزمة دولة ، وأزمة عائلة ، وأزمة الحياة الحضرية والحياة الفردية ..الخ من كافة جوانب كيان المجتمعات التي نعيش فيها ، بل أصبحت الأزمة نمط وجود مجتمعاتنا ، لذلك رأي " موران " ربط فكرتي الأزمة التي نحياها ، والتقدم الذي يحمل في ثناياه التطور المتسارع ، إلا أنه غير منفصل عن عملية هدم وتحطيم وتغيير الأساس الثقافي والحضاري ، وهذا المجري المنشيء للفساد ، وإعادة بعث النظام هو خاصية هذا البعد الأزماتي.([56])

1. مفهوم الازمة The concept of crisis

يشير مفهوم الأزمة إلي وجود مشكلات وصراعات وتحديات وأضرار وخسائر ، والأزمة هي علم يقوم علي مجوعة من الأسس والمبادئ العلمية تهدف إلي التحكم والسيطرة علي الأحداث المفاجأة والمتفاقمة وتصنيفها ومواجهة آثارها ونتائجها والحد من تفاقمها وانتشارها ، وقد ظهر علم (إدارة الأزمات والكوارث) لمعرفة كيفية إدارتها ومواجهتها.

الأزمة محور تحول نحو الأسوأ يواجه الدول والأفراد والمؤسسات والجماعات والمنظمات بأنواعها المختلفة ، كما أنها تحول مفاجئ عن النظام المعتاد ، وهي تفاعل مجموعة من التحديات ينتج عنها آثار مفاجئة تهدد القيم وأنظمة الدولة الأساسية ، ويتطلب ذلك سرعة اتخاذ القرارات حتي لا تتحول تلك الأزمة إلي كارثة.([57]) ومن ثم فكان ولابد من الاهتمام بدراسة الأزمات وإدارتها ومواجهتها والتنبؤ بمخاطرها المتوقع حدوثها نتيجة التغيرات البيئية والأخطاء البشرية أو العوامل التي تؤدي إلي وقوع تلك الأزمات ، ومن ثم فلابد من وضع خطط ودراسات للتنبؤ المبكر بها والأثار المترتبة عليها وكيفية مواجهتها.([58])

([56]) إدجار موران : إلي أين يسير العالم ، مصدر سابق ، صـ 25.

([57]) Laurence Barton ; Crisis in Organization Managing , Communicating in the heat of chaos, south western, U.S.A, 1993, P.2

([58]) Mark Lee Hunter, Luk N. Van Wassenhove, and Maria Besiou ; the New Rule for Crisis Management , Magazine Summer 2016 ,Issue Research Feature , Harvard Business Review ,P.8.

ان مصطلح " الأزمة " أصبح فارغاً بسبب كثرة استخدامه في كافة المجالات ، فمثلا (أزمة التقدم ، وأزمة الحضارة ، وأزمة المراهقة ، وأزمة الاقتصاد ، وأزمة العنصرية ..إلخ) والأزمة لا تظهر عند جبروت الانكسار أو زعزعة داخل نسق معين ، ولكنها تظهر أيضا عند حدوث احتمالات وتقلبات ، وعندما يحدث إنقلاب التكاملات إلي عداوات ، وعند تحول الانحرافات إلي نزعات ، " والأزمة ليست نقيض التقدم ، وإنما هي صورته ذاته ".([59]) كما أنها تعني غياب الإلتزام واليقين وازدياد للفوضى داخل النظام ، سواء أكان فردياً أو جماعياً ، ويتسبب ذلك في ركود للآلية المنظمة وانتشار السلبية والتراجعات.([60])

وتتضمن الأزمة خمسة مراحل أساسية : الإنذار المبكر والتأهب للحرص من تفاقم الأزمة ، ومحاولة تجنب الخطر ، والتقليل من الأثار السلبية ، والإكثار من الإيجابيات ، واكتساب الخبرات والتعلم.([61])

وتتعدد وتتنوع الأزمات التي تواجه المجتمع بصفة منتظمة أو عشوائية ، مما قد يتسبب في خسائر في الثروات البشرية والطبيعية والممتلكات العامة والخاصة ، وباستقراء التاريخ تجد أن الأزمات دائما تؤدي إلي أضرار جسيمة وكثيرة للفرد والمجتمع من كافة النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والإدارية مما يؤثر علي حركة التنمية.([62])

وكان ولابد من وجود إدارة لتلك الأزمات لتجنب وقوعها والسيطرة عليها ، ويرتبط مصطلح إدارة الأزمات Crisis Management بمصطلح الإدارة العامة Public Administration ارتباطاً وثيقاً ، وتهدف إدارة الأزمات إلي جمع البيانات التي تمكن الإدارة من التنبؤ بالأزمة

([59]) إدجار موران : الي اين يسر العالم ، مصدر سابق ، صـ 24.

([60]) Samantha Hughes ; Edgar's Moral Philosophy ,Ethics and Values in his Works , 2017,P. 100.

([61]) Ian I.Mitroff & Patrick Lagadec : Toward A systemic Crisis Strategy, center for Crisis management, Journal Article ,1991, P.13-15.

([62]) محمد صلاح : إدارة الأزمات والكوارث بين المفهوم النظري والتطبيق العملي ، مكتبة الكتب العربية ، 2005 ، صـ 43.

المتوقعة ووضع الخطط اللازمة للتعامل معها ، واتخاذ كافة الإجراءات والتدابير اللازمة للسيطرة علي الأزمة ومنع حدوثها أو تعديل مسارها لتكون في صالحه.([63])

2.أمراض الحضارة Diseases of civilization

تمثلت أمراض الحضارة عند " موران " في الأمراض التي تمثل حجرة عثرة في طريق التقدم ، وقد تحولت الغايات إلي الجوانب المادية فقط وهي عكس الفردانية ، وأصبحت قيمة الإنسان تقدر بالقيمة النقدية وليست الإنسانية ، ويتضح ذلك في قوله :" ان أمراض حضارتنا هي الأمراض التي أظهرت بالفعل عكس أهداف الفردية والتقنية ، وعكس غايات الفردية ، وعكس أهداف عملية تحول الأشياء لنقود ، عكس التنمية ورغد العيش".([64])

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر سعي الكثير من الفلاسفة إلي إيجاد حل لمشكلة وجودنا الروحي والعقلي ، واتضحت تلك المشكلة للمجتمع منذ الحرب العالمية الثانية ، وإذا نظرت إلي الإنسانية في الحضارات القديمة نجده يحاول التكييف مع الطبيعة والحياة دون أن ترغب في تغييرها أو تعديلها ، وكل أنشطته وفعالياته اقتصرت علي محاولة تحسين وضعه وسط الظروف البيئية الصعبة.([65])

وقد تناول المفكر الفرنسي جاك إيلول القضاء علي المتعلقة بالتطور التكنولوجي والتقني ومدي تأثيرهم علي المجتمع ، ورغم تأكيده علي المنافع التي تقدمها التكنولوجيا الحديثة ، إلا أنها تتسبب في آثار سلبية ومشكلات عديدة.([66]) فالإنسان في الحضارة المعاصرة يعيش أزمة حقيقية شاملة تتمثل في إعادة التسليح والتي قد تفضي إلي الإبادة الجماعية باعتبارها المرحلة الأخيرة من الحضارة الصناعية والتكنولوجية والتقدم التكنولوجي والعسكري والاقتصادي ، ولا

([63]) Jonathan Bundy ; Crises and Crisis Management Integration , Journal of Management, Arizona State University, 2017, P.2.

([64]) إدجار موران : نحو سياسة حضارية ، مصدر سابق ، صـ 14.

([65]) karl jaspers ; Man in the Modern Age, Trans.: Eden and Cedar Paul, Garden City, New York, Doubleday, 1957, p. 1.

([66]) بيتر سيل : الكون الرقمي - الثورة العالمية في الاتصالات، ترجمة: ضياء ورَّاد، مراجعة: نيفين عبد الرؤوف، مؤسسة هنداوي، القاهرة ، 2017 ،صـ 50، 51.

يقصد بالإبادة التدمير العسكري أو بواسطة القنبلة النيوترونية ، وإنما تشير إلي الحضارة الصناعية والتكنولوجية بكل جوانبها وليست المادية فحسب ، وفي هذه الحضارة الغربية تم التضحية بالكثير ممن يعانون الفقر والجوع والمرض والموت والعمل علي قتل الكائنات الحية وتدمير البيئة الحية التي تحمينا.([67])

فالتقنيات التي انتجها الإنسان سرعان ما ترتد ضده ، والأزمنة الحديثة تعرض أمامنا تقنية تتفلت من عقالها بتخلصها من الإنسانية المنتجة ، ونتصرف مثل سحرة في مرحلة التدريب ، كما تجلب التقنية نفسها بربيتها الخاصة.([68])

ولاشك أن التقنية الحضارية المعاصرة كان لها أثرا سلبيا علي الإنسان من عدة جوانب أبرزها :.

أ.**العامل الإقتصادي Economic factor** : اصبحت التنمية الصناعية عبء وخطر علي أفراد المجتمع ، حيث أدت إلي خطرين : الأول خطر خارجي ينتج عن التدهور البيئي لأوساط الحياة . والثاني: داخلي يترتب علي تدهور جودة الحياة . بالإضافة إلي التضحية بكل ما هو خارج نطاق المنافسة ، وعلي الرغم من التنمية الرأسمالية كانت سبباً لنمو الإنتاج والاقتصاد ، إلا أنها كانت أيضا سببا في تحول كل شيء إلي مجرد سلعة بما في ذلك المساعدات والتضامنات ، مما أدي إلي تقلص نصيب الخدمة الاجتماعية المجانية والهبات والصداقة والأخوة.([69])

ب.**العامل الاجتماعي Social worker** : حيث كان لتطور التقنية الحضارية وازدهارها وخاصة تقنية المعلوماتية أثرا سلبيا علي الحياة الاجتماعية للإنسان والاضطرابات الإقتصادية والبطالة ، وسيطرة منطق الألة الصناعية التي عملت علي إلغاء العديد من

([67])Rudolf Bahro : Avoiding Social and Ecological Disaster: The Politics of World Transformation: An Inquiry into the Foundations of Spiritual and Ecological Politics, Trans.: David Clarke, Bath, U.K.: Gateway Books, 1994. P. 19.

([68]) إدجار موران : ثقافة اوروبا وبربريتها ، ترجمة : محمد الهلالي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء المغرب ، 2007 ، صـ 6.

([69]) إدجار موران : نحو سياسة حضارية ، صـ 15.

الوظائف والمهن مثل بوابي العمارات ورقباء الحي ، ومأموري محطات القطارات وغيرها ، وجعلت الحياة الاجتماعية مجرد ألة أتوماتيكية ضخمة.([70])

كما كان للنمو الاقتصادي وتقدم الدول تكنولوجيا أثرا علي تشكيل آلات تقنية بيروقراطية هائلة هيمنت وسحقت كل فردي متميز وملموس ، وانتجت غياب الضمير واللا مسؤولية .. كما أدت إلي تقليص التآلف بين الناس وجعل النفوس في حالة صراع وغضب ، وتراجع العلاقات التضامنية القديمة ، وتشرذم الأشخاص ، وضعف الإحساس بالمسؤولية نحو الغير ، والشعور بالاغتراب "انبثاث الأنا ".([71])

جـ. **التفكك الأسري Family disintegration** : تضمن تفكك الأسرة تفكك العلاقة بين الآباء والأبناء ، وبين الأسرة والمدرسة ، وتفكك العلاقة بين الأقارب والمعارف ، وفقدان الحوار مع الذات والانفصال بين الأنا الأعلي والانا والهو ، فأصبحت هناك أزمة سياسية بين الفرد ومجتمعه ، وبين الفرد وأسرته ، وبين الفرد وذاته.([72])

والتفكك الأسري يهدد أمن واستقرار المجتمع ، واختلال السلوك ، وإنهيار الوحدة الأسرية وانحلال بناء الأدوار الإجتماعية وأفراد الأسرة ، وتحدث حالة من الإختلال الداخلي والخارجي ، وبالتالي يخفق الفرد في القيام بدوره المناط به علي أسس سليمة وسيادة عمليات المنافسة والصراعات بين أفراد المجتمع.([73])

د. **العزلة والاغتراب Isolation and alienation** : كان نتيجة الثورة الصناعية والتكنولوجية وازدهار الرأسمالية علي حساب القيم والمعايير الأخلاقية ، كما يقول دوركايم علي تفكك القيم والمعايير الإجتماعية ، وأطلق عليها " ظاهرة الأنومي" وتعني اللامعيارية ، وهي الحالة الاجتماعية التي تتميز بغياب المعايير ، وتفكك البناء

([70]) المصدر السابق ، صـ 14.

([71]) المصدر السابق ، صـ 15 ،16 .

([72]) المصدر السابق ، صـ 16.

([73]) امباركة أبو القاسم عبد الله الذئب : التفكك الأسري وأثره في سلوك الأبناء ، المجلة الليبية للدراسات ، دار الزاوية للكتاب ، الجمهورية الليبية ، العدد 13 ، 2017 ، صـ 122-123.

المعياري للمجتمع وضعف الضبط الاجتماعي يُعرض سلوك الأفراد للفوضى والخروج عن المعايير المألوفة والمقبولة داخل المجتمع.([74])

والحقيقة أن شرنقة الأسرة الصغيرة تميل نحو الإنغلاق بشكل يمكنها من حماية أعضائها ، لكنها في أزمة نتيجة لهشاشة الزواج ، وضياع العلاقات العاطفية ، كل ذلك نتيجة العزلة وتتفاحش كل طبقات المجتمع ، وهي بمثابة عزلة شديدة الوقع عندما تخص الصفات الصغيرة.([75])

وتزيد الوسائل التكنولوجية والتقنية من العزلة التي يحياها الفرد ، وتجعل تلك الوسائل الأقرب إليه ، حيث يألفها ويتعايش معها.([76])

هذا إلي جانب الإحباط النفسي من خلال ظروف الأفراد النفسية والاجتماعية والاقتصادية ، والتي تمنعه من الوصول إلي الذاتية المثالية ، ومن ثم يميلون إلي العزلة الاجتماعية كسلوك بديل للأفراد عن اغترابهم النفسي.([77])

هـ. القلق النفسي Psychological anxiety يتسبب التقدم في العلوم والتقنية الحضارية المتطورة والاقتصاد والتحضر والبيروقراطية والفردانية إلي نمو الحضارة بمجموع مكوناتها المادية والمعرفية والعلمية ، وأصبح من الصعب فهم عجزها وانحرافاتها ، فقد شكلت النجاحات التي حققتها حضاراتنا تطمح إليها الأمم التي لا تمتلكها أزمة حقيقية ، فأصبح الشعور بالقلق يتسلل إلي رغد العيش.([78])

([74]) حداد صونية : نظرية الاغتراب في الفكر السوسيولوجي، مجلة الإحياء، العدد (14)، جامعة باتنة ، الجزائر، 2010 ،صـ 598.

([75]) إدجارموران : نحو سياسة حضارية ، صـ 17.

([76]) رأفت محمد العوضي ، مها توفيق شبيطة : تأثير استخدام تكنولوجيا الوسائط الاجتماعية والمواقع الشخصية الإلكترونية على الحوار الأسري من وجهة نظر الآباء ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس فلسطين ، 2014، صـ 11.

([77]) سناء حامد زهران: إرشاد الصحة النفسية لتصحيح مشاعر ومعتقدات الاغتراب ، عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط1 مصر، 2004 ، صـ 107

([78]) إدجار موران : نحو سياسة حضارية ، صـ 11 .

ذهب "موران" إلي أن الأمراض لها ثلاثة أسباب : عضوية ، ونفسية ، واجتماعية حضارية ، وهي أمراض مرتبطة ببعضها البعض .. فعندما أُفرغت بشكل عشوائي عيادات المعالجين النفسيين والمحللين النفسيين والطب العام قبيل أحداث مايو 68 يتضح أن أغلب الحالات تعاني من حالات قرحة المعدة والصداع والأرق والغيثان والكآبة ، وأن أكثر من 60 % إلي 90 % من الوصفات الطبية تعود إلي أمراض جسدية ونفسية.([79])

فقد كان للنجاح والتقدم الاقتصادي الهائل مقابل ثمنه إنساني باهظ ، أدي إلي انهيار سلوك العديد من الأفراد الذين يقبلون علي الإستهلاك المسعور من أدوية الأمراض العقلية والنفسية ومضادات الإنهيار العصبي ، وتزايد العدد 6 أضعاف خلال خمسة وعشرين عاماً ، وتزايدت العلاجات في جناح الأمراض العقلية والنفسية داخل المستشفيات ثمانمائة ألف شخص ، ومنذ عام 1962 وحتي الآن تزايد الأشخاص الذين أقبلوا علي الانتحار ثلاثة أضعاف ، والذين ادخلوا مستشفيات الأمراض العقلية ، وتزايد 6 أضعاف عدد الذين يستهلكون المهدئات ، وبلغ حجم النفقات خلال احدي عشر عاماً من (1980–1991) من مائتان وسبعة وعشرون مليار إلي ستمائة وخمسة وأربعين مليار يورو ، وباتت فرنسا بلد العيش الرغيد والنوم التعيس والأكثر استهلاك للمسكنات والمهدئات.([80])

وقد أوضحت البحوث والدراسات النفسية أن الأشخاص الأكثر تعرضاً لإدمان الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي والتكنولوجي الذين يعانون من العزلة الاجتماعية والإنطواء الفشل في التواصل الاجتماعي مع الآخرين ، ولما كانت تلك الوسائل التكنولوجية الحديثة توفر لهم حلا لتلك المشكلة فكان سبباً في ادمانها.([81])

([79]) إدجار موران : نحو سياسة حضارية ، صـ 21.

([80]) المصدر السابق ، صـ 19.

([81])Sofia Martinez ; Edgar's Social and Political Theory ; A Critical Analysis , 2015 ,p. 50.

وهكذا واجهت الحضارة المعاصرة العديد من التحديات والتهديدات والمشكلات والقلق العام بسبب سياساتها الوحشية التي تقودنا إلي الكوارث ؛ مما جعلت الكثير يعيش حالة من الوحدة والعزلة وضعف الإحساس بالتضامن والمسؤولية،ويعانون من الأمراض النفسية وادمان الوسائل التكنولوجية والتشرذم واللاأخلاقية.

3 . مظاهر انهيار الحضارة

أشار العديد من الفلاسفة إلي المخاطر والأزمات والتحديات التي تهدد وجود الإنسان في ظل انطلاق التطور التكنولوجي نحو عنان السماء بدون وازع ديني أو أخلاقي ،

ذهب اشفيتسر إلي أن الحضارة تتضمن عاملين روحي ومادي للأفراد والجماهير علي حد السواء ، وأهم معوقات الحضارة أنها تقلل الأعباء المفروضة علي الأفراد والجماهير والناشئة عن الكفاح في الوجود ، وخلق الظروف الملائمة للجميع في تلك الحياة علي قدر المستطاع من أجل كمال الأفراد روحياً وأخلاقياً ، وتلك هي الغاية القصوى من الحضارة ، ولكننا اليوم نعيش في ظل إنهيار الحضارة ، وهذا الوضع ليس نتيجة الحروب ، فالحروب هي مجرد مظهر من مظاهره ، ولكن نتيجة تجمد الجانب الروحي في وقائع فعلية وينعكس نتائج مدمرة من كل ناحية .([82]) وهكذا فقد اهتمت الحضارة الغربية بالعامل المادي واصبحت تعيش حالة من الفراغ الروحي ، وتلك ثمتها ومنهجها.([83])

1.الحداثة Modernity

الحداثة حركة فكرية ظهرت في عصر النهضة نقلت أوروبا والغرب من عصر الإنغلاق والتشدد الديني وغياب العلوم والثقافة والمعارف فيما قبل القرن السادس عشر الميلادي والثورة الصناعية إلي التقدم والتطور العلمي والنهضة والمعرفة ، وتحاول الحداثة ربط الماضي

([82]) ألبرت أشفيتسر : فلسفة الحضارة ، الجزء الأول إنحلال الحضارة وإعادة بنائها ، ترجمة د.عبد الرحمن بدوي ، مراجعة د. زكي نجيب محمود ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ب.ت ، صـ 11.

([83]) Samuel P Huntington ; The Clash Of Civilization And The Remaking Of World Order, Simon E. Schuster, new York, 1996, p.41.

بالحاضر والرجوع إلي النموذج الإغريقي الروماني والإتجاه نحو المستقبل الذي يحمل في طياته العلوم والفكر وحتمة التقدم الإنساني.([84]) ولذلك ارتبطت الحداثة بالثورات العقلانية في أوروبا ، وتم الاستعانة بالفعل وأساليبه المنطقية والفكرية بدلا من الإستعانة بالدلالات الحسية والدينية السائدة في القرون الوسطى ، ويمكن وصف الحداثة بأنها تمثل التجديد والتنوير والاعتماد علي العقل والثورة علي الماضي.([85])

فكرة الحداثة هي التأكيد علي أن الإنسان هو ما يفعله ، وهناك صلة وطيدة بين الإنتاج الذي أصبح أكثر فعالية بفضل العلم والتكنولوجيا والإدارة ، وبين تنظيم المجتمع الذي ينظمه القانون والحياة الشخصية ويزدهر بواسطة المنفعة ، ويمثل العقل حلقة الوصل بين الفعل الإنساني ونظام العالم ، وتتصرف الإنسانية وفقا للقانون وتتقدم نحو الوفرة والحرية والسعادة ، وهذا التأكيد الجوهري هو الذي رفضته واستنكرته انتقادات الحداثة.([86])

تمثلت الحداثة المنطلقة في تطوير العلم والتقنية والاقتصاد والرأسمالية وتلك هي المحركات المتضافرة للعالم وقدرة مطلقة غير مسبوقة علي الإختراع والإبتكار ، وكذلك لديها القدرة علي التلاعب والتدمير ، وتتخلي الحداثة في ثلاثة أساطير كبري : أسطورة التحكم في الكون قال بها ديكارت وماركس ، وأسطورة التقدم والحتمية التاريخية وتتجلي عند كوندرسيه ، وأسطورة السعادة قال بها سان جوست " أن السعادة فكرة جديدة علي أوروبا " وانتشرت مقولة أن السعادة قد باتت في متناول الأفراد في حضارتنا المعاصرة ، ومع بداية القرن العشرين بدأت أزمة الحداثة في الظهور بعد أن صار الاستشكال الناشيء عن الحداثة والمنقلب علي الله وعلي الطبيعة ، وبات العلم يقدم من خلال عاملين أساسين : ينتج معارف جديدة تثور معرفتنا بالعالم ، وتمدنا

([84]) هشام شرابي : التقدم الحضاري للمجتمع الغربي في نهاية القرن العشرين ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1999 ، صـ 84.

([85]) د. علي وطفة : مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة ، مجلة فكر ونقد ، المغرب ، السنة الخامسة ، العدد 243 ، نوفمبر 2001 ، ص، 95-99.

([86]) آلان تورين : نقد الحداثة ، ترجمة د.أنور مغيث ، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 1997 ، صـ19.

بالمقدرات الهائلة لتنمية حيواتنا وتطويرها ، ولكنه في الوقت نفسه يطور قدرات هائلة للموت من قبيل الموت النووي بحكم انتشار أسلحة الدمار الشامل.([87])

فقد ذهب هيدجر إلي أن ماهية التقنية تتوقف علي فهمنا لها وطريقة التعامل معها ، فهي ليست تقنية مطلقة ، وإنما تتمثل علاقتنا بها من خلال والتلاؤم معها أو الابتعاد عنها ، وفي كلا الحالات ستبقي خاضعين للتقنية ومحرومين من الحرية ، سواء دافعنا عنها بانفعال أو أنكرناها ، فالتقنية بمثابة شيء حيادياً ، فهي عند البعض وسيلة من أجل تحقيق بعض الغايات وعند البعض الأخر فعالية خاصة بالإنسان ، وهاتان الطريقتان في تحديد التقنية متعاضدتان ، فالتصور الأداتي للتقنية صائب ويجلب الطمأنينة ، والتقنية الحديثة وجدت من أجل تحقيق غايات للإنسان ، فمثلا محطات توليد الكهرباء والطائرة النفاثة ومحطة الرادار ، كلها أشكال مختلفة للتقنية من أجل وضع الإنسان في علاقة صائبة.([88])

ويشيد موران بنتشة لإطلاق فكرة " أزمة الأسس " أي أنه ينبغي أن نفكر من غير أساس مسبق ، وستجد هذه الفكرة صدى لها وتأثيرا ، في حين انتقد فلسفة ديكارت الذي فصل بين المادة والإنسان ، فالتفاوت الكبير بين الفلسفة والعلم قد بلغ في الوقت الحالي أقصى المبالغ بحكم أن بعض المشكلات الفلسفية تعود إلي الظهور في العلم ، فالفلسفة المنطوية علي ذاتها تسير إلي الضياع ، والتفكير الذي يقوم علي العقلية والحساب والذي يختزل في الاقتصاد لهو تفكير عاجز عن فهم ما يعجز عن فهمه الحساب ، أعني الحياة والأحاسيس والروح وتلك مشكلاتنا البشرية.([89])

إلا أن العديد من الفلاسفة والمفكرين انتقدوا الحداثة مفاهيمها وقيمها وشككوا في جدواها ، ونادوا بنظرية ما بعد الحداثة ، التي يتهمها معارضوها أنها بالغت في المناداة بالإهتمام بالنسبية المعرفية والأخلاقية حتي كادت تلغي الثوابت والإنتقال من المنفعة إلي اللذة ، وأصبح هدف

([87]) إدجار موران : هل نسير الي الهاوية ، صـ 25 ، 26.

([88]) مارتن هيدجر : التقنية – الحقيقة – الوجود ، ترجمة محمد سبيلا وعبدالهادي مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ب .ت ، صـ 43 -45.

([89]) إدجار موران : هل نسير الي الهاوية ، صـ 27.

المجتمع هو الإستهلاك وليس الإنتاج ، وقد نجح العلم في الانتقال إلي ما بعد الحداثة التي قادت العالم إلي بلوغ النهايات ، نهاية التاريخ والأيديولوجية ونهاية الحضارة وغيرها.([90])

فقد ذهب هابرماس وفرانسو اليوتار وغيرهم من الذين ينتقدون الحداثة ، إلي أن الحداثة قد انتهت وانتقلت الي مرحلة ما بعد الحداثة ، حيث أنها اتمت دورها ومهتمها ، فقد رأي آلان تورين أن الحداثة بقدر ما تنتصر بقدر ما تفقد قدرتها علي التحرير ، فدعوة التنوير تكون مؤثرة عندما يكون العالم غارقاً في الفقر والجهل والعبودية.([91])

2.العنف Violence

اختلف الفلاسفة والمفكرين حول طبيعة العنف وعلاقته بالطبيعة البشرية ، فذهب البعض الي ان العنف طبيعة متأصلة في الطبيعة البشرية ، فهو يمتد بجذوره الي الفيلسوف اليوناني هيرقليطس الذي قال ان " الحرب هي كل الأشياء وملكة كل الاشياء "([92])

بينما ذهب سيجموند فرويد إلي أن الإنسان ليس هو ذلك الكائن الطيب السمح الذي يميل إلي الحب والخير والسلام ، وأنه لا يقدم علي العنف إلا مضطراً دفاعاً عن النفس ، فتلك الصور الجميلة هي مجرد شعارات لا توجد إلا في الكتب والمثل والأحلام ، فالإنسان بطبيعته يميل إلي استغلال الآخرين والإعتداء عليهم لإشباع رغباته العضوية والنفسية.([93])

مع انتشار وزيادة حدة العنف وتفاقمه وتأجيج الصراع بالعالم بسبب الاختلاف في الأيديولوجيات السياسية والمعتقدات الدينية ، ومحاولة السيطرة علي الثروات الطبيعية وامتلاك اقتصاد قوي مستخدمين وسائل التقدم العلمي والتكنولوجي وأحدث الأسلحة ذات التقنية المتقدمة.

([90]) ريما الصبان : الحداثة والتطور وتأثيرهما في العادات والتقاليد في المجتمعات الخليجية ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية ، أبوظبي ، العدد 179 ، طـ 1 ، 2013 ، صـ 7.

([91]) د.علي وطفة : مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة ، مرجع سابق ، صـ 16 ، 18.

([92]) د.حربي عباس عطيتو : ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1992 ، صـ 18- 20.

([93]) سيجموند فرويد : قلق في الحضارة ، ترجمة :جورج طرابيشي ، دار الطليعة لطباعة والنشر ، بيروت ،1996، صـ 72.

لقد سمح ومكن التقدم العلمي من إنتاج السلاح النووي الذي يؤدي اليوم إلي انتشار أسلحة أخري للقتل الجماعي كيماوية وبيولوجية ، كما نجمت عن التقدم التقني والصناعي سلسلة من الإنحطاط في البيئة المحيطة وخلقت العولمة السوق الاقتصادية .. كما خلقت وتخلق أزمات متتالية ومتلاحقة ، وباتت التطورات العلمية والتقنية الحاصلة في الصناعة والإقتصاد تغرق الكرة الأرضية وتهدد بالدمار الشامل.([94])

لقد أدي التغريب المهيمن إلي أزمة في الحضارات التقليدية ، فقد سعت هذه الحضارات إلي تجاوز أزمتها بأفكار وخبرات أخذتها عن الغرب، ولجأت الديمقراطية والاشتراكية والرأسمالية لحلول مقترحة لأزماتها ، وأدي ذلك إلي الإمعان في الارتداد إلي الجذور العرقية والدينية ، ولكنه في الحقيقة سيؤدي إلي أزمات جديدة ، حيث أدت الحضارة المعاصرة بإيثارها جانب التقنية وتغليبها جانب الاقتصاد إلي خلق حالة من الفقر والشقاء، ورغم كل الأزمات التي خلقتها تلك الحضارة إلا أنها لازالت النموذج المحتذى به في التنمية ، ويري فيها السذج أنها المخرج من جميع المشكلات الإنسانية ، وتقودنا إلي الأزمة ، وقد تفاقمت أزمة السياسة فعلي أنقاض الاشتراكية وأزمة الفكرة الثورية وفكرة التقدم والحداثة وغيرهم ، باتت الليبرالية الجديدة تزعم بأنه بمقدورها حل جميع المشكلات التي تواجه البشرية عن طريق المنافسة ونظام السوق ، والحقيقة أنه لم يعد هناك أمل في المستقبل ، ولم تعد من إرادة لتجديد الديمقراطية ولا عاد هناك بحث عن اقتصاد تعددياً ولا توجد رؤية بعيدة المدي ، ولا عاد هناك منظور مستقبلي.([95])

فقد فشل الفكر السياسي في توقع الأزمة التي حدثت في الحضارة ، بل وفي الكون كله ، كما عجز عن توفير مقترحات وبدائل لحل تلك الأزمة من خلال صياغات سياسية حضارية وإنسانية ، ومع مطلع القرن الحادي والعشرين هناك إتجاهات راديكالية وأزمات بين الغرب والإسلام ، حيث عودة النزعة الإسلامية الراديكالية إلي الجهاد ، وعودة الغرب إلي حرب صليبية بإعلام ديمقراطي.([96])

([94]) أدجار موران : هل نسير الي الهاوية ، صـ 162.
([95]) المصدر السابق ، صـ 164 ، 165.
([96]) المصدر السابق ، صـ 166.

وبعد أحداث 11 سبتمبر باتت هناك أمبراطوريتين متصارعتين أحدهما للخير والأخري للشر ، وكلاهما يرميان بعضهما البعض بالتعصب والشيطنة ، وبات الإرهاب المفرط يطغي وأوشك البعض علي إستخدام السلاح النووي ، فالإختلاف بين الإسلام والغرب مستمر منذ قرون بعيدة ، حيث إنحطاط في دول الإسلام ، والهيمنة التي صارت للغرب علي البلدان الإسلامية في الوقت الحاضر ، ويرزح الإسلام تحت ثقل الفشل الذي يقع بين أماني الديمقراطية والاشتراكية والتبعية والخضوع والمعاملة غير العادلة والكيل بمكيالين مثلما حد بين إسرائيل وفلسطين.([97])

وفي حين يهدف الاستعمار الغربي بصفة عامة والأوروبي بصفة خاصة السيطرة علي مصادر الطاقة والثروات الغنية بالدول العربية والإسلامية وتحقيق أكبر قدر من المكاسب المادية بحيل وخداع ومكر وشعارات كاذبة تتمثل في تحقيق العدالة ونشر الحرية والديمقراطية ، تجد الإسرائيليين يتدفقون إلي أرض فلسطين لإقامة وطن قوي لليهود في إطار تنفيذ المشروع الصهيوني ، وكانت أول إشارة رسمية للتنبيه العربي إلي الخطر الصهيوني ما أثاره النائبان :روحي الخالدي ممثل القدس ، وشكري العسلي ممثل دمشق عام 1912 في مجلس المبعوثين حول الخطر اليهودي ، وإقدام الصهيونية شراء الأراضي المشرفة علي سكة حديد الحجاز والتوسع في سوريا والعراق ، وأن هدف الصهيونية تتركز حول نيل الميزة والأفضلية في فلسطين ، وإنفاق الأموال لتأليف أمة يهودية في فلسطين واستيطانها.([98]) واستطاعت الحركة الصهيونية عام 1909 أن تنتقل إلي فلسطين في مرحلة التسلل حوالي خمسين ألف يهودي من أوروبا الشرقية ، وفي عام 1913 تم إنشاء جامعة عبرية في القدس ، ثم دخل الغزو الصهيوني مرحلة التغلغل في أواخر عام 1917 بعد إصدار إعلان بلفور في نوفمبر 1917.([99])

فالغرب وقف مسانداً ومدعما ومعضداً لانتهاكات الصهاينة ومحاولة الاحتلال الكامل والتام لأرض فلسطين معتقدين أنهم بذلك يقيمون وطن قومي لليهود ، وصف تشرشل الوضع في

([97]) إدجار موران : هل نسير الي الهاوية ، صـ 167.
([98]) السيد ياسين : الدولة الفلسطينية – رؤية مستقبلية ، مكتبة الاسرة ، القاهرة ، 2009 ، صـ 11.
([99]) أحمد صدقي الدجاني : الصهيونية ، الموسوعة الفلسفية العربية ، ج،2 ، معهد الانماء العربي ، طـ1 ، 1988، صـ 815.

كتابه الأبيض :" أن هناك دائما أناس بلا أرض ، وعرب كسالي ".([100]) وهل معني أن يكون العرب كسالي أن تحتل اسرائيل أراضيهم وتقيم عليها المستوطنات ، والجميع يبرر أفعال الصهاينة بحجة المعاناة المستمرة لليهود في منطقة معاداة للسامية ، فذلك ينذر بعواقب وخيمة علي منطقة الشرق الأوسط.

فالداعون للحرب والذين يرأون أن العمليات العسكرية قد ينتج عنها مكسب أو ربح ، لكنهم عجزوا عن استبيان حقيقة خفية ، وتغافلوا عن مستقبل مجهول قد يكون مظلم ، فقد ينجم عن تدخل عسكري تدهور متزايد في العلاقات بين الغرب اليهودي والمسيحي وبين الشرق الإسلامي ، وهذا التدخل سيزيد من الفجوة القائمة بين السنة والشيعة الذين باتوا اليوم متحدين بوعي إسلامي مشترك ، وربما يؤدي ذلك التدخل إلي تقوية نظام حزب الله بدلا من أن يؤدي إسقاطه ، وتشجع القاعدة وسائر والحركات الجهادية الإرهابية علي تقوية الوحدة الإسلامية وتصير الأنظمة الديكتاتورية شديدة الضعف في العالم العربي إلي مزيد من الضعف ، بدلا من انخراطهم في التدخل الأمريكي ، ويؤدي ذلك إلي انفجار عواقب لا حصر لها ، وقد أدركت الحكومات الأوروبية بمخاطر التدخل المسلح ضد إيران ، وأنه إذا اندلع النزاع فستزداد سرعة التسابق صوب الهاوية.([101])

فالعداء الذي ترسخ بدأ يتفاقم ويتسع من غير أن يقابل بردود أفعال للقضاء عليه ، كما تفاقمت أزمة السياسة وأزمة الوعي وأزمة الفكر وأزمة الحضارة ، وتضافرت تلك الأزمات مع سائر الأزمات الأخرى ؛ فتؤدي إلي كارثة علي الكرة الأرضية ، ربما توشك علي محق الحياة من علي وجه البسيطة ، فقد بدأنا ندخل حالة من الفوضى المدمرة ، وربما تكون الفرصة الأخيرة في الخطر الأخير ، ولم يعد مصطلحي " الإصلاح " و" الثورة " كافيين للخلاص ، وصار

([100]) W.E. Hogking ; The Spirt of World Politics , with Speciel Studies of the Near East , the Macmillan Company , New York , 1932 , p. 371.

([101]) إدجار موران : هل نسير الي الهاوية ، مصدر سابق ، صـ 169 ، 170.

الأفق الوحيد المتاح هو التحول .. التحول نحو مجتمع عالمي وتبادلات الحضارة تحلق بوادر للتكافل وتطالعنا نحو آمال حضارة مختلفة قادرة علي معالجة كافة المشكلات.([102])

ولعل ما قيل والذي تعجز ملايين الصفحات عن حمله ضاعف من حدة العنف ، بل أصبح مضخة كونية للعنف وتنوع في المخاوف المرتبطة بالإرهاب وأفقه ، وباستقراء الماضي وحرصاً علي المستقبل وخوفاً من أحداث إرهابية تفوق الخيال ، فقد باتت المعمورة ثقيلة بما عليها من تقنية تهدد بالدمار الشامل ، وقد ضاقت علي أهلها ، وأصبح الإرهاب من كثرة الاستعمال مألوفاً ويهدد الجميع ، ويفصح عن المزيد من مشاهد العنف.([103])

3.فساد الاقتصاد Economic corruption

فقد حملت العولمة الإقتصادية الكثير من البؤس والفقر ، فهناك الكثير من المناطق في دول العالم الي يعتمد اقتصادها علي الزراعة المختلطة وتربية المواشي داخل البيوت ، والنظرة المغتبطة للعولمة تري ثمة تناقصا هالا في الفقر ، لكن الحقيقة أن هناك مليارات من الأفراد الذين يعيشون بدخل يومي يقل عن دولار واحد ، فقد اصيبت أنحاء البشرية بالشقاء بسبب تفكك أشكال التكافل التقليدية ، وتفشى الفساد وكل أنواع وأشكال الجريمة الناجمة عن الفاقة وعن تعاطي المخدرات ، بل باتت أشكال جديدة من الاحتقار لتخلف أشكالاً قديمة من الاحتقار.([104])

وفي حين يتعامل الناس بطريقة عاطفية وانفعالية ووجدانية ، انحصر السلوك الانساني في الحضارة المعاصرة في الجانب الاقتصادي الي لا تحركه سوى المنفعة المادية.([105])

4.تلوث البيئة Environmental Pollution

ارتبط ظهور علم البيئة بصورة أشكال من التلوث والانحطاط المحلي والإقليمي ، بل لقد ظهر في صورة تهديد لكوكب الأرض ، وهذا التدهور كان نتيجة حتمية عن التنمية ، وقد تمثل أشكال التلوث في الإنفاق علي انبعاث الغازات وارتفاع حرارة الأرض والتجمعات السكانية

([102]) المصدر السابق ، صـ 170- 171.

([103]) جان بوديارد ، إدجار موران : عنف العالم ، ترجمة : عزيز توما ، تقديم : إبراهيم محمود ، دار للنشر والتوزيع ، سوريا ، طـ1 ، 2005 ، صـ 24 ومابعدها .

([104]) إدجار موران : هل نسير الي الهاوية ، صـ 162 ، 163.

([105]) المصدر السابق ، صـ 165.

والإنتاجية وتدني جودة الهواء وتلوث الماء والتلوث الناجم عن استعمال المبيدات الحشرية والأسمدة وتقلص التنوع الحياوي وانقراض ألاف من أنواع النباتات وتناقص شديد في المياه ، وأصبح مصدراً لتهديد وخطر متفاقم وتجارة ، بل ومصدراً لاستغلالات ومنازعات جديدة ، وربما يكون سبباً في نشوب حروب المستقبل.([106])

ويتضمن التلوث البيئي صور متعددة منها : تلوث الهواء والمياه والتربة والمخلفات الصلبة والمخلفات الخطرة والتلوث البيولوجي ، وأخطرها التلوث بالإشعاع حيث تؤثر تلك الإشعاعات علي الإنسان فتصيبه بالكثير من الأمراض المزمنة والمستعصية مثل السرطانات والعقم وأمراض المناعة ، كما تؤثر علي النباتات والحيوانات ، بل قد تدمر الكون كله من خلال القنابل النووية والذرية مثلما حدث في مدينتي هيروشيما ونجازاكي في اليابان عام 1945.([107])

5.الترف Luxury

رأي ابن خلدون أن الترف أبرز عوامل إنهيار الحضارات([108]) ، وأن الزيادة والارتقاء في الحضارة ودخولها في مرحلة الترف يؤدي إلي التدهور نتيجة الإسراف في الملذات ؛ لأن الترف في ذاته ليس ضرراً أو مفسدة ، بل هو مطلب إنساني عام ، والترف ليس حالة من حالات الحضارة ، وإنما هو موقف منها ، فهناك أغنياء متقشفون وفقراء مترفون ، والشعب ينقسم إلي بورجوازية وبرولتياريا ، وهناك طائفة قليلة جداً من الأفراد تصل إلي مستوي الغني المفرط الذي يؤدي إلي الفساد في غالب الأحوال.([109])

وعلي الرغم من أن عامل الترف كان في البداية قد زاد من قوة الدولة ، إلا أنه أشد العوامل تأثيرا علي ضعفها وانهيارها ، ويفسر ابن خلدون ذلك لأسباب اقتصادية وأخلاقية ونفسية .

([106]) إدجار موران : هل نسير الي الهاوية ، صـ 163.

([107]) سامح غرابية ، يحي فرحان : المدخل إلي العلوم البيئية ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، 2007 ، صـ290-292.

([108])Andrew Edger :The Philosophy of Edger ,A Comprehensive Analysis Of Edgar's ideas . 2021, P. 60.

([109]) د.حسين مؤنس : الحضارة ، مرجع سابق ، صـ 47 ، 48.

1. **العامل الاقتصادي** : حيث تقتضي طبيعة الملك الترف والميول إلي الإسراف في النفقات ورقة الأحوال ، ويشيد أفخم المباني وأطيب الأطعمة ، والتوسعة في العطايا علي الموالي والإنغماس في الترف والنعيم لا من جانب الملك وبطانته فحسب ، وإنما من جانب الرعية أيضا ، فالناس علي دين ملوكهم ، ومن ثم تكثر الحاجات والإنفاق ويتجاسر الجند علي الدولة ، ويلجأ السلطان إلي منحهم العطايا وكثرة الإنفاق ، كما يلجأ الملك إلي جمع المال من أملاك الرعايا من التجارة ومشاركة الفلاحين والتجار ، والاستيلاء علي البضائع ، ومن ثم يذهب رؤوس الأموال وتكسد الأسواق وتخرب الدولة وتنهار. ([110])، في حين ذهب ماركس إلي سلوك الإنسان هو القوي الحقيقية التي تحكم التطور التاريخي ففي جميع حالاته ، حيث يتأثر بالدوافع الاقتصادية ، والحالة الاقتصادية في الصفة الغالبة والمسيطرة والمحددة للنظم الأخلاقية والاجتماعية والسياسية واالدينية.([111])
2. **العامل الأخلاقي والنفسي** : وهو أهم معول هدم يؤدي إلي انهيار الدولة والملذات ، وانتشار الفحشاء وإندثار الحشمة والشهوات ، إضافة إلي أن الترف يضعف العصبية ويقلل من خشونة والبداوة والبسالة ، كما أن الترف لون من ألوان الفساد والسفه والسكون والتراجع والتكالب علي الدنيا وما فيها من متاع ويتنشب الخلاف بسبب التحاسد والكراهية فتنهار الدولة.([112])

الخاتمة وأهم النتائج

- تعمل السياسة الحضارية عند موران علي نشر التضامن بين أفراد المجتمع وتجسيد معاني التواصل والتعاطف والمحبة والتآخي بين أفراد الإنسانية ، وكذلك نبذ العنف والصراعات والصدام والتخلص من الصفات البربرية والوحشية والتشرذم من أجل مستقبل أفضل للإنسانية وتطبيق سياسة حضارية متميزة.

([110]) د. أحمد محمود صبحي : في فلسفة التاريخ ، دار النهضة للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1994 ، صـ 148.
([111]) رأفت الشيخ : تفسير مسار التاريخ – نظريات في فلسفة التاريخ ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، 2000 ، صـ 167.
([112]) المرجع السابق ، صـ 149.

- رغم أهمية التقدم التكنولوجي والتقني ، إلا أن فائدتها ليست مطلقة ، وإنما نجد أن هذا التقدم مرتبط بالعديد من السلبيات ، فقد تحول الإنسان لمجرد آلة وتضخم الاقتصاد وانتشار الآلات الضخمة والأسلحة التكنولوجية الحديثة وأثارها المدمرة التي أدت إلي المزيد من العنف والبطش والإرهاب ، ومن ثم فلابد من ترسيخ أخلاقيات التعامل مع التكنولوجيا والتقنية الحضارية.
- ذهب موران إلي أن الحضارة تتألف من جانبان : الروحي أو المعنوي ، الجانب المادي ، وفي الحضارة الغربية تجاهلت الجانب الروحي، وأصبح اهتمامها بالعلوم البحتة والتكنولوجيا والصناعة والاقتصاد وتطوير الأسلحة بأنواعها المختلفة من أجل الهيمنة والإستيلاء علي ثروات الشعوب الفقيرة تحت شعارات وأكاذيب الديمقراطية والليبرالية ، وكل هذه الأزمات المتلاحقة تنذر بالدمار لشامل للكرة الأرضية.
- استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية أحداث 11 سبتمبر وسيلة لتحصين أمنها القومي، وفرض هيمنتها علي العالم كله بحجة مكافحة الإرهاب، في حين أنها كانت الراعية لانتشار الجماعات الإرهابية المتطرفة في منطقة الشرق الأوسط المتمثلة في تنظيم القاعدة وطالبان وداعش وغيرهم ، واستمرار النزاعات والصراعات الدائرة العراق وسوريا والسودان واليمن .
- الإنسان عند موران كائن معقد وغامض متناقض مزدوج ومحير ، يجمع بين العالم الفيزيائي وعالم الأحياء الحيواني ، مجزأ إلي عناصر متعددة ومتنوعة ومتفرقة بعضها عن بعض ، في حين لا يخضع للعالم الفيزيائي الذي انبثق منه ، يجمع بين التنظيم والفوضى والعشوائية ، يشبه الحيوانات والفقاريات والثدييات من حيث صفاتها الحب والحنان والغضب ، إلا أنه يتفوق عليها بالذاكرة والذكاء .
- كلفت التكنولوجيا والتقدم العلمي والاقتصادي الإنسانية الكثير من قيمها وأخلاقها وإنسانيتها وإستقرارها النفسي والاجتماعي ، فدفع الإنسان الثمن باهظاً ، فقد أصيب بالكثير من الأمراض النفسية والعصبية والعضوية ، ولجأ معظم أفراد المجتمع إلي الإدمان بأنواعه المختلف والإنعزالية وفقدان التواصل الاجتماعي الحقيقي والعزلة والقلق والتشرذم واللاأخلاقية والبطالة.
- ربط موران الحضارة بالسياسة ، ورأي ضرورة إضفاء الطابع الإنساني – المتمثل في الحرية والمساواة والإخاء – علي الجانب المتوحش من حضارتنا المعاصرة ، وإعادة بناء السياسة ،

وإصلاح الفكر والثقافة والتكامل بين الفرد والمجتمع من خلال التضامن والتكافل الإنساني والتعاون والإيثار وتعزيز قيم الخير والتسامح ، كما دعى " موران" دول العالم المتقدمة والغنية إلي توفير الطعام للبؤساء والفقراء والأدوية للمرضى في ظل الكوارث التي تواجه العالم ، وإعادة إحياء الماضي وبناء المستقبل.

قائمة المصادر والمراجع

اولا : المصادر :

1. إدجار موران : النهج – إنسانية البشرية – الهوية البشرية ، ترجمة . هناء صبحي ، أبو ظبي للثقافة والتراث ، الإمارات العربية المتحدة ، ط 1 ، 2009.
2. إدجار موران : إلي أين يسير العالم ؟ ترجمة .أحمد العلمي ، الدار العربية للعلوم ، ناشرون ، بيروت ، 2009.
3. إدجار موران : تربية المستقبل – المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل ، ترجمة عزيز لزرق ومنير الحجوجي ، منشورات اليونسكو .فرنسا ، دار تويفال للنشر ، المغرب ، ط 1 ، 2002.
4. إدجار موران : ثقافة اوروبا وبربريتها ، ترجمة : محمد الهلالي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء المغرب ، 2007.
5. إدجار موران : نحو سياسة حضارية ، ترجمة .أحمد العلمي ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ط 1، 2010.
6. إدجار موران : هل نسير إلي الهاوية ؟ ترجمة عبد الرحيم حزل ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، 2012 .
7. جان بوديارد ، إدجار موران : عنف العالم ، ترجمة : عزيز توما ، تقديم : إبراهيم محمود ، دار للنشر والتوزيع ، سوريا ، ط1 ، 2005.

ثانيا : المراجع باللغة العربية :

1. أبو الوفا الغنيمي التفتازاني ، الانسان والكون في الاسلام ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة.
2. إحسان النبي : الحضارة بين النعمة والنقمة ، منشورات دار علاء الدين ، دمشق ، ط 1 ، 2000.
3. أحمد صدقي الدجاني : الصهيونية ، الموسوعة الفلسفية العربية ، ج،2 ، معهد الانماء العربي ، ط1 ، 1988.
4. أحمد محمود صبحي : في فلسفة التاريخ ، دار النهضة للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1994.
5. إريك فروم : مفهوم الإنسان عند ماركس ، ترجمة .محمد سيد رصاص ، دار الحصاد للنشر والتوزيع ، دمشق ، ط1 ، 1998.
6. آلان تورين : نقد الحداثة ، ترجمة د.أنور مغيث ، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 1997.

7. ألبرت أشفيتسر : فلسفة الحضارة ، الجزء الأول إنحلال الحضارة وإعادة بنائها ، ترجمة د. عبد الرحمن بدوي ، مراجعة د. زكي نجيب محمود ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ب.ت.
8. ألبرت أشفيتسر : فلسفة الحضارة ، الجزء الأول إنحلال الحضارة وإعادة بنائها ، ترجمة د.عبد الرحمن بدوي ، مراجعة د. زكي نجيب محمود ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ب.ت.
9. امباركة أبو القاسم عبد الله الذئب : التفكك الأسري وأثره في سلوك الأبناء ، المجلة الليبية للدراسات ، دار الزاوية للكتاب ، الجمهورية الليبية ، العدد 13 ، 2017.
10. أمل مبروك : فلسفة الموت – دراسة تحليلية ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2011.
11. بيتر سيل : الكون الرقمي – الثورة العالمية في الاتصالات، ترجمة: ضياء وردّاد، مراجعة: نيفين عبد الرؤوف، مؤسسة هنداوي، القاهرة ، 2017.
12. جون ديوي : إعادة البناء في الفلسفة ، ترجمة وتقديم : أحمد الأنصاري ، مراجعة د. حسن حنفي ، المشروع القومي للترجمة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 2010.
13. حداد صونية : نظرية الاغتراب في الفكر السوسيولوجي، مجلة الإحياء، العدد (14)، جامعة باتنة ، الجزائر، 2010 ،
14. حربي عباس عطيتو : ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1992.
15. حسن أحمد الحياري : أسرار الوجود وانعكاساتها التربوية ، دار الأمل ، الأردن ، ط1 ، 1994.
16. حسين مؤنس : الحضارة – دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، العدد 1 ، يناير 1978.
17. رأفت الشيخ : تفسير مسار التاريخ – نظريات في فلسفة التاريخ ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، 2000.
18. رأفت محمد العوضي ، مها توفيق شبيطة : تأثير استخدام تكنولوجيا الوسائط الاجتماعية والمواقع الشخصية الإلكترونية على الحوار الأسري من وجهة نظر الآباء ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس فلسطين ، 2014.

19. رولان بريتون : جغرافيا الحضارات ، ترجمة .خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات ، لبنان ، بيروت ، 1993.
20. ريما الصبان : الحداثة والتطور وتأثيرهما في العادات والتقاليد في المجتمعات الخليجية ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية ، أبوظبي ، العدد 179 ، ط 1 ، 2013.
21. زكريا ابراهيم : مشكلة الإنسان ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ب.ت.
22. زهير الخويلدي : تعقد الطبيعة البشرية عند إدجار موران ، الفلسفة الغربية المعاصرة – صناعة العقل الغربي من مركزية الحداثة إلي التشفير المزدوج ، الجزء الثاني ، تأليف مجموعة من الأكاديميين العرب ، إشراف وتحرير د. علي عبود المحمداوي ، منشورات ضفاف ، الرباط ، ط1 2013.
23. سامح غرابية ، يحي فرحان : المدخل إلي العلوم البيئية ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، 2007
24. سناء حامد زهران: إرشاد الصحة النفسية لتصحيح مشاعر ومعتقدات الاغتراب ، عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط1 مصر، 2004.
25. سيجموند فرويد : قلق في الحضارة ، ترجمة :جورج طرابيشي ، دار الطليعة لطباعة والنشر ، بيروت ،1996.
26. السيد ياسين : الدولة الفلسطينية – رؤية مستقبلية ، مكتبة الاسرة ، القاهرة ، 2009.
27. صامويل هنتيجتون : صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي ، ترجمة طلعت الشايب ، سطور للنشر والتوزيع ، ط2 ، 1999.
28. صلاح قنصوة : الدين والفكر والسياسة ، مكتبة دار الكلمة ، القاهرة ، 2003
29. عادل العوا : الإنسان ذلك المعلوم ، منشورات عويدات ، بيروت – باريس ، 1977
30. عبد الفتاح الديدي : الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1985.
31. علي عبد المعطي محمد : أعلام الفلسفة الحديثة ، دار المعرفة الإسكندرية ، 1997.
32. علي وطفة : مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة ، مجلة فكر ونقد ، المغرب ، السنة الخامسة ، العدد 243 ، نوفمبر 2001.

33. مارتن هيدجر : التقنية – الحقيقة – الوجود ، ترجمة محمد سبيلا وعبدالهادي مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ب .ت.
34. مجدي الجزيري : الفن والمعرفة الجميلة عند كاسيرر ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الاسكندرية.
35. محمد ابراهيم الفيومي : الوجودية فلسفة الوهم الانساني ، الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية ، القاهرة ، 1984.
36. محمد صلاح : إدارة الأزمات والكوارث بين المفهوم النظري والتطبيق العملي ، مكتبة الكتب العربية ، 2005.
37. محمد عبد الرحمن مرحبا : الموسوعة الفلسفية الشاملة من الفلسفة اليونانية إلي الفلسفة الإسلامية ، عويدات للنشر والطباعة ، 2000.
38. محمد قطب : مذاهب فكرية معاصرة ، دار الشروق ، القاهرة ، 1973.
39. هشام شرابي : التقدم الحضاري للمجتمع الغربي في نهاية القرن العشرين ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1999.
40. ول ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة د. ذكي نجيب محمود ، الجزء الأول ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1949.

ثالثا : المراجع باللغة الانجليزية :

1. Andrew Edger :The Philosophy of Edger ,A Comprehensive Analysis Of Edgar's ideas . 2021،
2. Christopher Watson ; Edgar's Legacy ;Continuity and Relevance in Contemporary Thought , 2012.
3. Ian I .Mitroff & Patrick Lagadec : Toward A systemic Crisis Strategy, center for Crisis management, Journal Article ,1991, P.13-15.
4. John Dewey ; Philosophy and Civilization , Capricorn Books , New York , 1963 Andrew Edgar ; The Philosophy of Edgar , A Comprehensive Analysis of Edgar's Ideas.
5. Jonathan Bundy ; Crises and Crisis Management Integration , Journal of Management, Arizona State University, 2017
6. karl jaspers ; Man in the Modern Age, Trans.: Eden and Cedar Paul, Garden City, New York, Doubleday, 1957

7. Laurence Barton ; Crisis in Organization Managing , Communicating in the heat of chaos, south western, U.S.A, 1993.
8. Mark Lee Hunter, Luk N. Van Wassenhove, and Maria Besiou ; the New Rule for Crisis Management , Magazine Summer 2016 ,Issue Research Feature , Harvard Business Review.
9. Rudolf Bahro : Avoiding Social and Ecological Disaster: The Politics of World Transformation: An Inquiry into the Foundations of Spiritual and Ecological Politics, Trans.: David Clarke, Bath, U.K.: Gateway Books, 1994.
10. Samantha Hughes ; Edgar's Moral Philosophy ,Ethics and Values in his Works , 2017.
11. Samuel P Huntington ; The Clash Of Civilization And The Remaking Of World Order, Simon E. Schuster, new York, 1996.
12. Samuel P. Huntington ; The Clash Of Civilization And The Remaking Of World Order, Simon E. Schuster, new York, 1996
13. Sofia Martinez ; Edgar's Social and Political Theory ; A Critical Analysis , 2015.
14. W.E. Hogking ; The Spirt of World Politics , with Speciel Studies of the Near East , the Macmillan Company , New York , 1932.
15. W.E.Hocking ; The Self its Body and Freedom , New York , Yale University Pres ,London , 1928،